

87

أحمد بهاء الدين

مؤامرة فى أفريقيا

مؤامرة فى افريقيا

مؤامرة فى افريقيا

أحمد بهاء الدين

وزارة الثقافة



سلسلة
ذاكرة الكتابة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• مؤامرة فى افريقيا
• أحمد بهاء الدين
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2008م
128ص، 5ر16 × 5ر23سم
• تصميم الغلاف: فكرى يونس
• المراجعة اللغوية: عبد الحميد عيسى غازي
• رقم الإيداع: ١٤١٧٧/ ٢٠٠٨
• الترقيم الدولى: 0-804-437-977
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - القصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

ذاكرة الكتابة (87)

تعنى بنشر أبرز الأعمال الفكرية والأدبية والنقدية التى طبعت فى بدايات القرن العشرين

مؤامرة فى افريقيا

المحتوى

الإهـــداء

إلى الضمير العالمى الذى قامت الأمم المتحدة لتمثيله..
وإلى أبناء إفريقيا.. القارة التى ستدور فيها معركة الحرية الأخيرة..
فمن أجل رسالة الأمم المتحدة، ومن أجل حرية إفريقيا سفك هذا الدم!

أحمد بهاء الدين

ستكون حياة هادئة !..

كان مندوب مصر فى مجلس الأمم المتحدة بالصومال يعبر الشارع امام بيته، فى العاصمة «مقديشيو».. وفجأة، هجم عليه من الوراء رجل فى يده سكين طويل، طعنه فى ظهره، وظل يطعنه إلى أن سقط مضرجا بدمائه..

وتمكن بعض الذين رأوا الحادث من القبض على القاتل. أما مندوب مصر، فقد كانت لديه بقية من قوة، مد بها يده إلى الوراء، وانتزع السكين المغروس فى ظهره.. ولكنهم عندما وصلوا به الى المستشفى، كان قد أسلم الروح..

هكذا قرأت – كما قرأ الناس – مصرع كمال الدين صلاح. وما تعلم نفس بأى أرض تموت! وما كان أحد يتصور ان يلقى كمال الدين صلاح مصرعه فى الصومال، وهو يحمل اسم الأمم المتحدة، ويمثلها فى إعداد شعب الصومال للاستقلال..

كان واضحا ان هذه ليست قضية قتل عادية، من القضايا التى تقع كل يوم..

إن كمال الدين صلاح هو الرجل الثانى الذى استشهد وهو ينفذ رسالة الأمم المتحدة: الأول هو الكونت برنادوت وقد قتلته اسرائيل. والثانى هو كمال الدين صلاح، وقد قتله.. من؟..

ثم إن هذا القتل قد جاء فى فترة غير عادية من حياة افريقيا فترة بدأ فيها العالم كله

يهتم بهذه القارة الغامضة، ويتحدث عن الثروات الخرافية التى ترقد فى أرض غاباتها العذراء.. فترة بدأ فيها ابكر ساسة الغرب «يتواضعون» ويأتون اليها، كما كان يذهب المغامرون إلى «جزيرة الكنز» كل واحد يريد أن يرى لمحة أو ينال شيئا مما فى هذه القارة من كنوز.

فى هذه الفترة بالذات سقط كمال الدين صلاح مضرجا بدمائه. وكمال الدين صلاح افريقى.. وهو ابن بلد من البلاد التى ينبعث منها النور إلى افريقيا. والصومال بلد افريقى، من البلاد التى حددت الامم المتحدة لها موعدا حاسما يجب أن تستقل فيه.. موعدا ليس ببعيد، فى سنة ١٩٦٠.

فليس من المصادفة قطعا أن يلقى كمال الدين مصرعه فى هذه اللحظة بالذات، وبعد شهور قليلة فقط من نجاة بلاده – مصر – من جريمة قتل مشابهة، فى بورسعيد!...

فما سر هذه الجريمة؟...

كان هذا السؤال يتردد على لسان كل مصرى، وكل مهتم بسياسة مصر ومستقبل افريقيا..

. ولم أكن أقل من الآخرين اهتماما بالعثور على اجابة لهذا السؤال.. حتى أتاحت لى الظروف فرصة نادرة.

لقد كان من عادة كمال الدين صلاح أن يدون مذكراته وخواطره، وأن يحتفظ بها لنفسه وقد ترك بعده كمية هائلة من الأوراق الخاصة والمسودات وقصاصات الصحف.. ثم هناك خطاباته التى كان يبعث بها إلى زوجته إذا كانت غائبة، والى أصدقائه المقربين..

وعندما أخذت أقلب هذه الأوراق.. وجدت اننى انما اقرأ دراما رائعة! دراما فيها كل أبطال القصص الكبيرة.. فيها شخصية «الدكتور فرانكا» الرجل الاستعمارى، الفاشيستى القديم. وفيها شخصية «فيليبينى» السياسى المتنكر فى ثياب رجال الدين. وفيها شخصية «جايبال» الهندى المحايد الأمين. وفيها شخصية «ادموندو» المواطن الذى باع روحه للشيطان!

نعم. كنت أقلب هذه الاوراق وكأننى اقرأ دراما رائعة .. دراما تنتهى بمصرع البطل! ولكن العبرة من مصرعه تبقى، وتزدهر!.. وكان لابد ان ترى هذه القصة النور. إن الصومال بلد افريقى صغير، ولكنه نموذج نادر للتيارات التى تصطرع فى افريقيا كلها.

وهو بلد مشمول بوصاية الامم المتحدة، ومن أجل ذلك فهو أيضا نموذج نادر لرسالة الأمم المتحدة والعقبات التى تصادفها. وكأن كمال الدين صلاح قد ألهم أن يترك هذه التركة من الأوراق لكى تكون صوتا مستمرا يرتفع فى افريقيا وفى ساحة الامم المتحدة!!.

فى ابريل سنة ١٩٥٤، كان السيد كمال الدين صلاح يقوم بعمله كقنصل لمصر فى مرسيليا، عندما تلقى قرار الحكومة المصرية بنقلة إلى الصومال.

ولم يكن هناك تمثيل سياسى لمصر فى تلك البلاد.. ولكن مجلس الوصاية فى الأمم المتحدة كان قد شكل لجنة ثلاثية من مصر وكولومبيا والفلبين، مهمتها أن تقيم فى الصومال الموضوعة تحت الوصاية، وأن تراقب عملية نقل الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الاستقلال.

وابتسم كمال الدين صلاح وهو يقول لزوجته انه فى اغلب الظن سيجد عملا هادئا فى ذلك الركن الهادئ من العالم.. فقد كان حظه قبل ذلك عاصفا على الدوام، لايذهب الى بلد ألا وهى تجتاز مرحلة خطيرة مضطربة من حياتها، كأن فيه جاذبية خاصة للأحداث، أوكأن حظه كان يبحث له عن مكان وقضية يستشهد فيهما!..

لقد بدأ حياته فى السياسى بأن عين فى القدس سنة ١٩٣٦، والثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الانجليزى الاسرائيلى فى أعلى مراحلها، ثم نقل إلى اليابان، عندما كانت الحرب اليابانية الصينية هى مشكلة العالم الأولى. ومن اليابان ذهب إلى بيروت، إذ كانت الحرب العالمية ناشبة، وجيوش حكومة ڤيشى تحتل لبنان وجيوش انجلترا و فرنسا الحرة تتهيأ لغزوها، والمجاهدون العرب يفرون من قبضة الانجليز فى العراق وفلسطين وإيران الى بيروت التى كادت تغلق عليهم كالمصيدة، فدفعته سليقته ووطنيته إلى مساعدة هؤلاء اللاجئين، حتى طلب لورد كيليرن من حكومة مصر أن تسحبه من لبنان بسبب نشاطه هذا، فسحبته، وإعادته الى القاهرة حتى أشرفت الحرب على نهايتها... وكانت الأنظار قد بدأت تتجه الى سان فرنسيسكو التى اختيرت لمحاولة وضع أول ميثاق للامم المتحدة بعد الحرب، وصدر قرار بنقله إلى سان فرنسيسكو.. وفجأة وقع حادث اغتيال رئيس الوزراء المرحوم أحمد ماهر.. واعتقل فى هذا الحادث قريب له وصديق هو فتحى رضوان. وذهب كمال الدين صلاح يوما يسأل عن قريبه ويزوره فى السجن، فألقوا القبض عليه من باب الاشتباه، وفتشوا بيته، ووضعوه فى السجن يوما وليلة، قبل ان تتبين حكومة النقراشى

حماقة مافعلت فتطلق سراحه.

ويلغى نقله إلى سان فرنسيسكو وينقل بدلا منها الى اليونان، ليشهد هناك الحرب الأهلية بين الحكومة والشيوعيين ومن اليونان ينقل الى عمان، ليشارك من هناك فى الحرب الأولى بين العرب واسرائيل.. ثم الى تشيكوسلوفاكيا ليحضر فترة الانقلاب الشيوعى هناك ثم الى دمشق ليشهد أعصب أيام حكم الشيشيكلى واصطدامه بالشعب السورى، ثم يأخذ هدنة فى ستوكهلم ريثما تقوم الثورة فى مصر، فتنقله قنصلا فى مرسيليا فى سنة ١٩٥٣ وكانت مرسيليا فى ذلك الوقت مركزا هاما من مراكز نشاط الثوار الجزائريين. وكان الفرنسيون يرمقون كل مصرى رسمى او غير رسمى بنظرة شزراء خشية أن يكون ممن يقدمون مساعدات للثوار. وكان لابد أن يصطدم بهم كمال الدين صلاح لهذا السبب أكثر من مرة.

مر هذا الشريط الهائل الذى يبلغ طوله ١٨ سنة برأسه فى دقائق قليلة. وهو يبتسم قائلا انه اغلب الظن سيحيا فى الصومال حياة هادئة. فالصومال بلد صغير فقير، لم يعرف العالم عنه انه يثير مشاكل من أى نوع.. وهو موضوع تحت وصاية الامم المتحدة لمدة عشر سنوات تنتهى سنة ١٩٦٠ يصبح بعدها مستقلا. والدولة التى تتولى الادارة فى الصومال تحت اشراف الامم المتحدة ريثما يستقل هى ايطاليا، وهى لم تعد دولة استعمارية تثير المتاعب منذ صفيت امبراطوريتها الافريقية فى الحرب الثانية: ثم إنه ليس ذاهبا هذه المرة بوصفه ممثلا لمصر. إنه يحمل صفة اخرى هى انه ممثل للامم المتحدة هيئة نبيلة مستقلة محايدة، مترفعة عن الأغراض، لايهمها الا أن يتهيأ هذا الشعب للاستقلال فى الموعد المضروب.

نعم... ستكون حياة هادئة..

ولكن ماهو بالضبط نظام الوصاية، وماهو وضع ممثل الأمم المتحدة هناك؟...

قبل الحرب العالمية الثانية كان هناك نظام «الانتداب» الذى لم يكن فى الواقع أكثر من اسم مهذب للاستعمار كانت سوريا ولبنان مثلا تحت الانتداب الفرنسى وكانت فلسطين تحت الانتداب الانجليزى ومع ذلك فقد كان الشعب العربى فى هذه البلاد الثلاثة فى ثورات دامية متصلة ضد انجلترا وفرنسا بوصفهما دولتين استعماريتين. فلما نشبت الحرب العالمية الثانية، ومن خلال أحداثها ووعودها، بدا أن الشعوب المستعمرة سوف يبزغ عليها

بعد الحرب فجر جديد. فجر لم يأت اليها سهلا، انما جاءها بعد ان بذلت فى سبيله الدم والدموع. وفى مؤتمر يالتا، حيث اجتمع روزفلت وتشرشل وستالين، اتفق الثلاثة فيما اتفقوا عليه من تنظيم العالم وهيئة الامم بعد الحرب، على أن «تتشاور الدول الخمس التى سيكون لها مقاعد دائمة فى مجلس الامن فى شأن مسألة الوصاية الاقليمية قبل انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة..»

ولما انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو لوضع ميثاق الأمم المتحدة ولد مبدأ عالمى جديد هو: ان الشعوب المستعمرة والمتخلفة مسئولية من مسئوليات المجتمع الدولى كله. وان العلاقة بين الدولة المستعمرة والدولة الخاضعة للاستعمار ليست علاقة خاصة بينهما، إنما هى علاقة عامة، من حق الأمم المتحدة ومن واجبها كممثلة للمجتمع الدولى ان تتدخل فيها.. واتفق على تقسيم البلاد غير المستقلة إلى نوعين: النوع الاول هو المستعمرات بوجه عام. والنوع الثانى هو: المستعمرات التى كانت خاضعة لنظام الانتداب قبل الحرب، والمستعمرات التى كانت تستعمرها «دول الأعداء».. اى ألمانيا او ايطاليا او اليابان..

هذا النوع الثانى هو الذى تقرر وضعه تحت الوصاية..

وإذاً.. فمن حق الأمم المتحدة أن تتدخل بصفة عامة فى علاقة المُستعمرات بوجه عام بمستعمريها، إلا أن لها هيمنة خاصة على القسم الموضوع تحت الوصاية فالأمم المتحدة هى التى تشرف على إدارة الاقليم المشمول بالوصاية. ومن أجل ذلك فقد نص ميثاق الامم المتحدة على تكوين جهاز خاص من أجهزتها يتفرغ لهذه المهمة، ذلك هو «مجلس الوصاية» مهمته ان يراقب إدارة الدولة الوصية للبلد المشمول بالوصاية، وأن يتلقى تقريرا سنويا من هذه الادارة، وأن يفحص العرائض التى قد تقدم اليه من البلد المشمول بالوصاية، وان يرسل بعثات دورية تزور هذه الاقاليم.. والوصاية على اى بلد لها هدف واضح محدد لايحتمل التحايل، ذلك هو: اعداد الشعب الموضوع تحت الوصاية للاستقلال الكامل طبقا لمعاهدة محددة.

والبلاد المشمولة بالوصاية عبارة عن ١١ بلداً، أغلبها فى افريقيا، هى: الكاميرون، وعدد سكانها ١,٤٠٠,٠٠٠ والوصية عليها انجلترا - توجولاند وعدد سكانها ٤١٠,٠٠٠ والوصية عليها انجلترا - تنجانيقا وعدد سكانها ٨,٠٠٠,٠٠٠ والوصية عليها انجلترا - الكاميرون، وعدد سكانها ٣,٠٠٠,٠٠٠ والوصية عليها فرنسا - توجولاند وعدد

سكانها ١,١٠٠,٠٠٠ والوصية عليها فرنسا - راوندا أو روندى وعدد سكانها ٤,٠٠٠,٠٠٠ والوصية عليها بلجيكا - الصومال وعدد سكانها ١,٣٠٠,٠٠٠ والوصية عليها ايطاليا - ساموا الغربية وعدد سكانها ٨٥,٠٠٠ والوصية عليها نيوزيلندا - ناورو وعدد سكانها ٤٠٠٠ والوصية عليها استراليا - غينيا الجديدة وعدد سكانها ١,٢٠٠,٠٠٠ والوصية عليها استراليا - جزرالباسفيك وعدد سكانها ٦٠,٠٠٠ والوصية عليها الولايات المتحدة الأمريكية.

على أن طريقة تشكيل مجلس الوصاية تستوقف النظر حقا!‹.. فهو يتكون على النحو الآتى:

أولا- الدول التى تقوم بالوصاية على هذه الاقاليم (وهى انجلترا وفرنسا وبلجيكا واستراليا ونيوزيلندا وأمريكا).

ثانيا - الدول ذات المقاعد الخمسة الدائمة فى مجلس الأمن (وهى انجلترا وفرنسا وامريكا وروسيا والصين).

ثالثا - عدد آخر من الدول، يكفى لكى يصبح عدد الدول الاعضاء التى لاتقوم بالوصاية مساويا للدول الأعضاء التى تقوم بالوصاية.

فتطبيقا للبندين الأول والثانى أصبح أعضاء أول مجلس: انجلترا وفرنسا وأمريكا واستراليا ونيوزيلندا وبلجيكا وروسيا والصين، ولما كان ست من هذه الدول يقومون بالوصاية على بعض الأقاليم، ودولتان فقط هما روسيا والصين لاتقومان بأى وصاية، فقد وجب تعيين أربع دول أخرى أعضاء فى المجلس حتى يكون عدد كل من الدول الوصية والدول غير الوصية.. ست.. فإذا تغير عدد الدول الوصية تغير بالتالى عدد الدول غير الوصية احتفاظا بالمساواة العددية.

ماسر هذا التشكيل بالغ التعقيد؟..

أغلب الظن أن الدول الوصية، وهى الدول القوية، حرصت على الاحتفاظ لنفسها بنصف عدد الاعضاء، حتى لاتصدر القرارات ضد مصلحتها. ومعنى ذلك أن الدولة الوصية لاتحب أن تسلم سريعا بضرورة انهاء وصايتها أو الاسراع بإعداد الاقليم التابع لوصايتها للإستقلال.. فها هنا اذا مجال كبير للمناورات!..

كان هذا أول انذار للمسافر الى الصومال بأن مهمته لن تكون شديدة السهولة كما

تصور أول الأمر..

وركب كمال الدين صلاح الطائرة الى مقديشيو عاصمة الصومال.. ولم تمض أسابيع قليلة حتى حدث أمر عجيب.. لقد وقع كمال الدين صلاح فى حب هذا الشعب الصغير الفقير، كما وقع هذا الشعب الصغير الفقير فى حب كمال الدين صلاح!..

هذا المصرى الذى ذهب الى تلك البلاد الافريقية لم يشعر بأنه غريب فهذه هى قارته وهذه البلاد كانت ترزح تحت الاستعمار كما كانت ترزح بلاده وفى تاريخ مصر القديم أن التجار المصريين كانوا يذهبون الى الصومال ويتاجرون معها منذ أربعة الاف سنة، وكانوا يسمونها «بلاد البنط» ثم إن الشعب هنا كله مسلم، واللغة المفضلة لديه هى اللغة العربية ولهجاته المحلية فيها كثير من الكلمات المصرية القديمة.. أما الصوماليون، فقد وجدوا فيه كذلك افريقيا مثلهم.. نعم أنه يمثل الامم المتحدة ولكنه من دينهم ومن جنسهم ومن قارتهم.. فهم يطمئنون إليه ويفتحون قلوبهم له ويعتبرونه واحدا منهم، يقاسمهم حياتهم ومستقبلهم ومشاكلهم.. وهم يجدون فى البلد التى جاء منها – مصر – البلد الافريقية التى استطاعت ان تتحرر وتستقل وتصبح دولة مرموقة متحضرة فهى صورة معبرة للأمل المفترح أمام الافريقيين جميعا.

اننا نجد صدى هذا اللقاء النفسى العميق، فى الرسائل الأولى التى كتبها كمال الدين صلاح الى أصدقائه وذويه «... قمت بجولة فى أنحاء الصومال دامت أسبوعين، قطعت خلالها ثلاثة الاف ميل بسيارة جيب! اجتزت خلالها أراض صحراوية وغابات استوائية ومناطق زراعية ومراع!.. لقد اختلطت خلال هذه الرحلة بالأهالى، وتحدثت اليهم، وصليت معهم فى المساجد، وخطبت فيهم شارحا وضع بلادهم والدور الذى يجب أن يقوموا به ليحققوا استقلالهم والدور الذى تقوم به الامم المتحدة لمساعدتهم، أن الناس هنا فى حالة فقر شديد. كثيرون منهم يعيشون على الفطرة كيوم هبط جدنا آدم الى الارض وعشرات الألوف فى الغابات والمراعى شبه عرايا ليس على أبدانهم سوى مايسترعوراتهم ويأكلون مما يحصلون عليه من صيد الغابة وألبان الابل والابقار والاغنام وفى المناطق الصحراوية والمراعى يبيت الناس فى العراء، وقد يكون لسلطان القبيلة او زعمائها أكواخ من القش وفروع الأشجار. حتى العاصمة نفسها، نجد أن إحياء الوطنيين فيها فقيرة كئيبة ورغم أن هناك مساحات واسعة من الأراضى الصالحة للزراعة فإن أغلبية الناس منصرفون عن

الزراعة. فهم لايعرفون طرق الزراعة وهم يعجزون عن مجاراة الايطاليين الذين يزرعون المناطق القريبة من النهرين بالالات الحديثة. ويظن الناس هنا أن الزراعة غير ممكنة إلا بالجرارات والمحاريث والطلمبات الآلية التى يستعملها الايطاليون.. فهم لايعرفون الوسائل البسيطة التى يتبعها الفلاح المصرى كالمحراث والساقية والشادوف ولكن هولاء الفقراء الذين يسكنون العراء ويأكلون من صيد الغابات يتقدمون فى فهمهم السياسى والقومى بشكل عجيب! ففى أقصى الغابات نجد واحدا عنده «راديو بطارية» يسمع منه الاخرون نشرات الاخبار ! لقد وجدتهم يعرفون أخبار مصر معرفة دقيقة.. إنهم يتتبعون معاهدة الجلاء، والحلف العراقى التركي، وسفر جمال عبدالناصر إلى مؤتمر باندونج الذى يتكون من الشعوب الآسيوية والافريقية إنهم يتعلقون بمصر تعلقا شديدا وينتظرون منها أن تساعدهم!».

لقد عاش الاستعمار فى هذه البلاد عشرات السنين دون أن يصنع لها شيئا! ولكن الادارة الايطالية هذه المرة مؤقتة، ستنتهى سنة ١٩٦٠. ثم إنها خاضعة للامم المتحدة. والامم المتحدة لها رسالة أخرى غير رسالة الاستعمار. رسالتها ان تنقل هذا الشعب الى مستوى حضارة القرن العشرين، وأن تعلمه كيف يحكم نفسه وكيف يشارك سائر الشعوب جهادها التقدمى!..

أما اذا كانت هناك مناورات من الدول الاستعمارية فى هذه الارض الفقيرة الصغيرة، فإن رسالته ايضا، كممثل للامم المتحدة، أن يقف فى وجه هذه المؤامرات.. فترى، ماذا هناك؟..

صراع الأقوياء...

بعد وصول كمال الدين صلاح بشهور، أرسلت هيئة الامم المتحدة بعثة من رجالها، كي تزور البلاد الموضوعة تحت الوصاية في شرق افريقيا..

وكانت البعثة تتكون من ثلاثة: رئيس نيوزيلندى، وعضو امريكى، وعضو هندى.. اسمه مستر چاپيال...

وعندما وصلت البعثة الى الصومال، وبدأت تمارس دراساتها هناك.. بدأ كمال الدين صلاح يعرف الأعضاء الثلاثة عن قرب، وبدأت التيارات السياسية المختلفة تظهر أمامه..

وفى إحدى الليالى، سأل الرئيس النيوزيلندى مستر چاپيال العضو الهندى: أين سيسهر الليلة؟ فقال له مستر چاپيال: سأتعشى عند مندوب مصر، السيد كمال الدين صلاح..

وتغير وجه الرئيس النيوزيلندى، وقال بلهجة ذات مغزى انه يلاحظ توثق العلاقات بين مستر جاپيال وكمال الدين صلاح وتعدد مقابلاتهما.. فضحك مستر جاپيال قائلا: إننى أتآمر مع صديقى المصرى على تصفية ماتبقى من الامبراطورية البريطانية!..

وضحك الرئيس النيوزيلندى ضحكة صفراء.. فالرئيس النيوزيلندى لم يأت مع عضوى البعثة من نيويورك رأسا، ولكنه سبقهما الى لندن، حيث قابل المسئولين فى وزارة

المستعمرات البريطانية، قبل أن تتوجه البعثة الى افريقيا.. وهو بالتأكيد لايرتاح الى مثل هذه الدعاية..

أما العضو الأمريكي، فإن أول أسئلة وجهها بعد وصوله كانت عما اذا كان هناك نشاط شيوعي في الصومال! فلما عرف انه ليس هناك نشاط شيوعي على الاطلاق، سأل عن احتمالات تسرب اى نشاط شيوعي في المستقبل الى هذه البلاد، وهنا قال له كمال الدين صلاح: إن هناك وعى واضح بين الأهالي، يتطور بسرعة نحو المطالبة بحقهم في أن يعيشوا في بلادهم كآدميين.. اما اذا استمر الوضع كما هو الآن بأن يظل الايطاليون الذين توطنوا منذ العهد الفاشستي همْ المسيطرون على أفضل مناطق الزراعة، وهم المالكون للصناعات القليلة القائمة، وهم المحتكرون للاسواق التجارية فإن هذا لن يؤدى إلا إلى وقوع الانفجار ذات يوم..

في هذا الميدان بالذات، ميدان الاقتصاد والسياسة، وجد كمال الدين صلاح كل التيارات المتضاربة تزمجر في سماء هذا الشعب الصغير. وليس هذا غريبا. فالمصالح الاقتصادية هي الغاية الاخيرة لكل تدخل او استعمار.

وليست دولة واحدة هى التى تبحث عن مصالح لها في هذه البلاد..

ان إنجلترا وفرنسا وايطاليا وامريكا والحبشة.. كلها لها مصالح في هذا البلد الصغير الفقير..!

إن مستر جابيال مندوب الهند في لجنة الامم المتحدة بعد إن زار مع اللجنة قلب افريقيا وشرقها، يقول لكمال الدين صلاح انه قد تأكد من مناقشاته واتصالاته مع أعضاء البعثة ومع الحكام المسئولين في هذه المستعمرات الافريقية ان انجلترا وفرنسا وبلجيكا تتمنى، وتعمل، على فشل تجربة الوصاية في الصومال الايطالي وعدم إعلان استقلال الصومال في سنة ١٩٦٠.

لماذا؟....

إيطاليا.. من الطبيعي ان تتمنى فشل تجربة الوصاية، حتى يؤجل الاستقلال وتستطيع ان تبقى هناك بعد سنة ١٩٦٠. أما بلجيكا وفرنسا وانجلترا فكلها دول لها مستعمرات مماثلة ومجاورة في قلب افريقيا ونجاح تجربة الوصاية في الصومال الايطالي واعلان الاستقلال معناه ان تمتد عدوى الاستقلال الى هذه المستعمرات، أو أن تطبق فيها تجربة

الوصاية على الاقل. وهى لاتريد ان تمتد هذه العدوى الى الصومال الانجليزى او الصومال الفرنسى او الكونغو البلجيكية. انها تعرف أن اضاءة مصباح واحد فى الصومال الايطالى سوف يجمع الاحرار فى هذه البلاد كلها حول نوره، وأن لمحات من نور هذا المصباح سوف تمتد وتبدد شيئا فشيئا ظلام الغابات فى قلب القارة السوداء.. وكلما تبدد الظلام كلما اصبح بقاء الاستعمار والاستغلال أكثر صعوبة.. ثم هناك الحبشة.. الدولة الوحيدة المستقلة المجاورة، ولها فى الصومال مطامع، وعلى الحدود تثور مشاكل وخلافات، وأخيرا هناك الولايات المتحدة الامريكية، ذات الاهتمام الطارئ الجديد بإفريقيا، كجزء من استراتيجيتها العسكرية والاقتصادية التى تشمل العالم كله.

ومعنى هذا أن هذه الدول تتفق أحيانا وتصطدم أحيانا اخرى، تبعا لالتقاء مصالحها أو تناقضها.. الأمر الذى يجعلنا فى حاجة الى كثير من الصبر والتأمل لكى ندرك كل التعقيدات التى ينطوى عليها الموقف. وهى التعقيدات التى تجعل من الصومال حالة نموذجية للشعب الصغير الفقير عندما يتزاحم حوله الاقوياء.

ولنبدأ بإيطاليا..

لقد ظلت ايطاليا منذ أيام العصر الفاشيستى تدير شئون الصومال كما تدار شئون أى مستعمرة من الطراز القديم: المطلوب هو اعتصار موارد البلاد بقدر الامكان لحساب قلة من الرأسماليين والمستعمرين الايطاليين. فأهمية الربح لهؤلاء تأتى قبل اهمية تحقيق اى ربح آخر، حتى لايطاليا نفسها كدولة.. أما العمل على تحسين أحوال الأهالى فهو أمر لايفكر فيه أحد بالطبع!

وقد خرجت ايطاليا من الصومال خلال الحرب العالمية، وعادت بعد الحرب لتتسلم الوصاية.. ولكن الوضع الاقتصادى بالذات ظل كما هو: فالزراعة، والصناعة القليلة، والتجارة كلها يحتكرها الايطاليون، فى حين ظل أغلب الصوماليين يعملون فى الرعى وبيع المواشى، والزراعة البدائية المشتتة. حتى الدكاكين نجد أن أغلب اصحابها ليسوا صوماليين..

والوسائل التى اتبعت الايجاد هذا الوضع كثيرة: فالطرق مثلا لا تمد إلا إلى المناطق التى يزرعها الايطاليون، وعمليات الاقراض والائتمان لاتتم بسهولة الا بالنسبة للايطاليين. وعمليات التجارة الهامة تعطى احتكارا للايطاليين.. حتى السياسة الضرائبية تساهم فى

اقرار هذا الوضع: فالضريبة على الكماليات المستوردة - المستوردة من ايطاليا - والتى لايستعملها سوى أبناء الجاليات الأجنبية ضريبة بسيطة، فى حين أن ضريبة الاستيراد على السلع الضرورية التى يستهلكها الصوماليون أساسا باهظة جدا. الضريبة على السكر مثلا تصل الى ١٢٥٪ وذلك لغرضين: الأول هو الحصول على أكبر ايراد ممكن من الصوماليين، والثانى هو حماية صناعة السكر المحلية، وهى صناعة يملكها الايطاليون..

ونفس الحال بالنسبة لضرائب التصدير.. فالموز الذى يحتكر الايطاليون تصديره تفرض عليه ضريبة بسيطة لأن هذا يساعد على تصريفه فى الخارج بأسعار معقولة.. أما السلع التى ينتجها الصوماليون أنفسهم مثل الجلود والحبوب والبخور فالضريبة على تصديرها باهظة.. فلايهم الإدارة الايطالية أن يتم تصريف هذه البضائع، إنما يهمها أن تحصل على أكبر حصيلة من ضريبتها التى يدفعها الصوماليون!

وليس هناك بعد ذلك أى محاولة جدية لرفع مستوى الأهالى أو لتعليمهم طرقا حدثا لاستثمار ثروتهم.. بل إن الجهود على العكس كانت تبذل لإبقائهم فى حالة من البدائية والتخلف تمنعهم من الثورة او الاحتجاج.

تروى السيدة حرم المرحوم كمال الدين صلاح انها كانت فى الصومال عندما وقع الهجوم الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى على مصر.. وقد أدى هذا الهجوم الى اغراق بعض السفن فى قناة السويس وتعطيل الملاحة فيها، مما أوقف حركة تصدير الموز من الصومال الى الخارج، وهى تجارة يحتكرها الايطاليون، ولما كان بقاء الموز فى السفن والموانى لايؤدى إلا الى فساده، فقد كان المصدرون يتخلصون منه بإلقائه فى الماء أو فى الشوارع. وكان الأهالى يأخذون الموز لكى يأكلوه ويسدوا به حاجتهم.. وفى سذاجتهم وطيبتهم كانوا يدعون الدعوات الطيبة لجمال عبدالناصر لأنه أمم قناة السويس فجعلهم يستطيعون أكل الموز بأسعار رخيصة!... فإلى هذا الحد يحرم الاحتكار هذا الشعب الصغير من محصوله الطبيعى الأوفر، ويبقيه فى هذه الحالة من الفقر والتخلف..

على أن إيطاليا، بعد أن ذاقت الهزيمة فى الحرب العالمية، وأبعدت عن الصومال زمنا، عادت الى هناك لكى تجد لها غريما خطيرا... هذا الغريم هو انجلترا..

إن الصومال مهم الآن بالنسبة لانجلترا لأكثر من سبب فهو أولا ملاصق للصومال الانجليزى، واهالى الصومال هنا وهناك فى الواقع عبارة عن شعب واحد قسمه الاستعمار

الى انجليزى وفرنسى وايطالى. فمستقبل شعب الصومال الايطالى سوف يؤثر حتما فى مستقبل الصومال الانجليزى والصومال الانجليزى ليس مهما لذاته فقط، ولكنه جزء من الامبراطورية البريطانية بعد أن تزعزعت قواعدها وكادت تصفى فى آسيا وحوض البحر الأبيض وشمال افريقيا. وهذه المنطقة التى توجد فيها الصوماليات الثلاث، تقع فى مواجهة عدن، المستعمرة الانجليزية أيضا، وتسيطر معها على مدخل البحر الأحمر المؤدى إلى المحيط الهندى..

كل هذه أسباب قوية لكى تهتم إنجلترا بالصومال الإيطالى. يضاف إلى ذلك كله ان انجلترا خلال اشتباكها مع قوات ايطاليا الفاشستية فى الحرب العالمية الأخيرة، استطاعت أن تطرد قوات ايطاليا من الصومال كما طردتها من الحبشة. واحتلت انجلترا الصومال احتلالاً عسكريا منذ سنة ١٩٤٢ حتى سنة ١٩٥٠ اى ثمانى سنوات متواليات..

فى خلال هذه السنوات الثمانى، راودت انجلترا رغبة خفية أن تحل محل إيطاليا فى هذه البلاد (ألم تحل محل ألمانيا وتركيا فى مستعمراتها الافريقية والآسيوية بعد الحرب العالمية الأولى) وكانت تتمنى ان تعهد اليها الامم بالوصاية على الصومال مدة السنوات العشر المقررة، فلعلها بذلك تستطيع أن توحد بين مصير الصوماليين الأنجليزى والإيطالى فى صومال واحد يرتبط اساسا بمصالح انجلترا وأرادت انجلترا أن تعطى الصوماليين شيئا كانت ايطاليا تأباه عليهم فسمحت بتكوين الأحزاب وتكونت الأحزاب وكان أهمها وأقواها (حزب وحدة الشباب الصومالى).

على أن الأمم المتحدة عندما بحثت هذا الأمر مع الشعب الصومالى نفسه، وأرسلت بعثة منها الى الصومال لتتحرى رغبته، آثر الصومال وصاية ايطاليا.

فالإدارة الايطالية كانت لها جذور قديمة فى البلاد. والمصالح الايطالية كانت باقية لم تخرج من الميدان وقد لعبت الدور الاساسى فى المطالبة بإعادة ايطاليا جماعة تحمل اسم «جماعة المحاربين القدماء».

هذه الجماعة عبارة عن حوالى ٣٠ الف صومالي، كانوا خلال الحكم الايطالى جنودا جندتهم ايطاليا لحفظ الامن، أو للقتال ضمن جيوشها فى حروب استعمارية أخرى فى الحبشة واريتريا والصومال الانجليزى وليبيا.. فلما غزا الانجليز البلاد، وطردوا قوات ايطاليا، تفرق هؤلاء المجندون.. ولكن الحكم الانجليزى – كما يقول كمال الدين صلاح فى

مذكراته «ظل ينظر اليهم نظرة غير طيبة باعتبار أنهم حاربوا فى صفوف العدو. وفى الوقت الذى فتح فيه الانجليز أبواب الوظائف لكل طوائف الصوماليين بقى هؤلاء المحاربون القدامى مبعدين محرومين من أى فرصة للالتحاق بأى عمل حكومى أو شبه حكومى فلما ذهبت الأمم المتحدة تتقصى رغبة أهالى البلاد، استطاع الايطاليون أن يستغلوا سخط هؤلاء المحاربين القدماء. فهم تربطهم الى حد ما رابطة الولاء للعلم الايطالى الذى حاربوا تحته. ونفوسهم تفيض بالمرارة والحقد على الانجليز. وقد جعلتهم كثرتهم العددية قوة لها أثرها، كما أن اعتيادهم النظام وطاعة رؤسائهم من صف الضباط من بنى جنسهم جعل من السهل حشدهم وتوجيههم. وبقليل من العطاء وكثير من الوعود كسبت ايطاليا فى تلك الفترة هؤلاء المحاربين القدماء إلى جانبها. فنظموا أنفسهم وساروا فى العاصمة والمدن فى مظاهرات ضخمة تدعو الى عودة ايطاليا، كما طالبوا بذلك أمام لجنة الأمم المتحدة..»

يضاف إلى هذه الاسباب التى نفرت الشعب الصومالى من الانجليز سبب آخر هو أن انجلترا أثبتت ان رغبتها فى ارضاء الحبشة اكبر من رغبتها فى ارضاء شعب الصومال. فالحبشة وامبراطورها حلفاء قدامى للانجليس ضد ايطاليا. وبين الصومال والحبشة خلافات حول بعض مناطق الحدود. خصوصا منطقتى «الاوجادين» و«الهود». وقد انتهزت انجلترا فرصة كونها هى الدولة المحتلة، فسلمت منطقة الاوجادين لحكومة الحبشة.. مما اثار ثائرة الصوماليين عليها وعلى الحبشة معا.

كل هذه الاسباب جعلت انجلترا تخرج من الصومال كما جعلت ايطاليا تعود.. تعود لمدة الوصاية فقط، أى من ١٩٥٠ الى ١٩٦٠.. ولكن ايطاليا عادت وقد أصبح لانجلترا جذور ومطامع وأنصار. وهى لم تعد بسلطة مطلقة كالتى كانت لها أيام الفاشيست إنما عادت بسلطة مقيدة بقيود الوصاية، فكان لابد ان يدور الصراع الظاهر حينا والخفى حينا آخر بينها وبين انجلترا..

ومنذ البداية، أخذت الادارة الايطالية تعمل على اقصاء النفوذ الانجليزى ومحاربته. فاعتبرت «حزب وحدة الشباب الصومالى»: أكبر الأحزاب التى تكونت خلال الاحتلال الانجليزى، اعتبرته حزبا معارضا لها. وبدأت تكون أحزابا أخرى تعمل لحسابها، ثم عادت فجمعتها فى حزب واحد هزيل اسمه الحزب الديمقراطى، جعلت رئيسه موظفا صوماليا

لديها غير دينه واسمه واصبح اسمه «إدموندو».. ثم عاد الى دينه الاصلى مرة اخرى باسم محمد شيخ عثمان، ولكنه ظل مشهورا باسم ادموندو.. هذا بينما كان دأب العناصر الانجليزية ان تكيد للادارة الايطالية وتثير فى وجهها المتاعب..

مثلا...

فى أوائل سنة ١٩٥٥ فوجئ الجميع ببيان مشترك من الحكومتين الانجليزية والحبشية تعلنان فيه أنهما اتفقتا على أن انجلترا ستسلم المنطقة التى كانت باقية تحت يدها من «الاوجادين» الى الحبشة. على أن تبقى الادارة الانجليزية هناك فى الوقت الحاضر.

كان معنى هذا أن الأرض التى كانت انجلترا مؤتمنة عليها فى الصومال قد سلمتها الى الحبشة. دون أن تأخذ رأى الحكومة الايطالية ولا الزعماء الصوماليين.

وثار الرأى العام فى الصومال.. وارسل الزعماء برقيات استنكار الى كل من اعتقدوا انهم قد ينجدونهم.. الى الحكومة البريطانية والى الامم المتحدة والى الجامعة العربية والى جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند!..

ثم يروى لنا كمال الدين صلاح ماحدث بعد ذلك:

«عدت من إجازتى يوم الخميس، فوجدت رؤساء الاحزاب السياسية ينتظرون وصولى.. قالوا لى انهم قد قرروا القيام بمظاهرة كبرى لاستنكار الاتفاقية الانجليزية الحبشية. وسألونى رأيى، هل أويد الفكرة أو أعارضها وطلبت منهم أن أؤجل رأيى الى الغد حتى أدرس الموقف وأعرف مختلف وجهات النظر، خصوصا وجهة نظر الادارة الايطالية ودوائر الامم المتحدة..

«وقد تبين لى أن الادارة الايطالية تبارك هذه المظاهرة سرا... فما تطيب له نفوس الايطاليين أن يروا الشعور العام فى هذه البلاد ثائرا ضد بريطانيا التى صفت امبراطوريتهم وطردتهم من افريقيا..

«وفى أوساط الأمم المتحدة فهمت أنه قد ترامى إلى سمعهم أن هناك بعض عناصر ستنتهز فرصة المظاهرة للاعتداء على المتاجر بالسلب والنهب، وسيكون الخاسر هم أهل الصومال، اذ سيكون لذلك رد فعل سيء فى الامم المتحدة، اذ يمكن الادعاء بأن الصوماليين غير أهل للاستقلال وحكم أنفسهم.

«ومن مصادر اخرى فهمت أن القنصل البريطانى هنا يذل جهودا كبيرة لمنع هذه

المظاهرة، وحاول أن يشترى الناس بالمال.. فلما فشل فى ذلك وتأكد أن المظاهرة سوف تقوم لامحالة، بدأ يصرف مبالغ كبيرة لبعض العناصر كى تقوم بإحداث شغب ولو بالاعتداء على القنصلية البريطانية نفسها».

صورة نموذجية من صور السياسة الانجليزية عرفناها فى كل البلاد التى كانت من مستعمراتهم فى افريقيا وآسيا: المال اولا لمنع المظاهرة.. فإذا استعصى هذا فالمال لكى تنقلب المظاهرة الى فوضى، ولكى يقع الاعتداء على قنصليتهم، فيظهروا فى صورة الشهداء، ويستغلوا الحادث لاظهار السخط والاحتجاج وتقديم المطالب، والدس للادارة الايطالية والشعب الصومالى على السواء.

ويستطرد كمال الدين صلاح - بعد ان عرف كل هذه الحقائق - قائلا انه « فى اليوم التالى جاءنى الزعماء الصوماليون مرة ثانية، فذكرت لهم أننى لا أعترض على قيام المظاهرةالصامتة، ولكنى نبهتهم بشدة الى النتائج السيئة التى قد تنجم عن وقوع أى شغب أو عدوان ونصحتهم بضرورة وجودهم بأشخاصهم فى المظاهرة هم والأنصار البارزون من احزابهم، وذلك لارشاد الناس وتوجيههم»..

وقامت المظاهرة: ونجحت من حيث نظامها وشعبيتها نجاحا نموذجيا وعندما مرت بمكتب الامم المتحدة وقدمت نسخة من احتجاجها ألقى فيها كمال الدين صلاح كلمة هنأ فيها الشعب الصومالى على المثل الطيب الذى ضربه على النظام والتضامن والروح الوطنية العالية والقدرة على ضبط النفس..

كان كمال الدين صلاح بعد ذلك يتكلم مع مسيو دى لاروش، الفرنسى الذى يشغل منصب سكرتير الامم المتحدة هناك، ويقول له: إن نفوذ الانجليز فى الصومال بعد هذه الاتفاقية قد أصيب بضربة قاضية.

ورد عليه مسيو دى لاروش قائلا وهو يبتسم: لاتخش على الانجليز شيئا! إنهم قوم ماكرون، وسيعرفون كيف يستعيدون مركزهم بعد وقت قصير!.

وبعدَ يومين جاء قنصل بريطانيا يزوره.. جاء فى ثياب الملائكة يقول له: إننى اقدر عواطف الصوماليين، وقد قلت لرئيس حزب وحدة الشباب اننى لو لم أكن قنصل انجلترا لخرجت وسرت معكم فى المظاهرة.

ويبتسم كمال الدين صلاح ويسكت، فهو يعرف أن هذا القنصل نفسه كان منذ قليل فى

الصومال الانجليزى، وأنه اشترك فى المباحثات التى أدت إلى الاتفاقية. وأنه من الخبراء بهذه المنطقة، وقد خدم قبل ذلك فى الحبشة والمملكة السعودية والكويت. وأنه كان يدفع النقود لكى تنقلب المظاهرة الى فوضى!

ولم تكن هذه هى المحاولة الاخيرة من جانب الانجليز للتدخل ضد الادارة الايطالية.. لقد عثروا على ورقة رابحة فى هذا الميدان، وهى: جماعة المحاربين القدماء...

إن هؤلاء المحاربين القدماء الذين كانوا أشد الناس سخطا على الانجليز، قد انقلبوا ضد الادارة الايطالية، لقد وعدهم الايطاليون كثيرا قبل أن يعودوا.. ولكنهم لم يفوا بوعودهم، لم يدفعوا لهم المرتبات المتأخرة ولا المكافآت السخية كما كانوا يقولون. وبدأ الانجليز فى هذه المرة يتصلون ببعض المحاربين ويدفعون لهم ويحرضونهم على إثارة الشغب والمتاعب..

كان كمال الدين صلاح منذ وصل إلى الصومال قد أصبح محل ثقة طوائف الصوماليين ومستشارهم الأول فى كل شىء!.. وكانت الادارة الايطالية تعرف ذلك وتعرف نفوذه الأدبى لدى الصوماليين فتلجأ اليه فى الملمات.

وفى ذات يوم جاء الدكتور بنادر يللى مدير الشئون الداخلية الى كمال الدين صلاح يقول له ان لديه معلومات تدل على أن المحاربين القدماء سيقومون باضطرابات خطيرة فى العاصمة، وسيستدعون زملاءهم من الاقاليم للاشتراك معهم فى ذلك.. وطلب منه أن يتدخل لديهم للعدول عن هذه المظاهرات والاضطرابات، لأن هذا مقصود به افساد الانتخابات النيابية القريبة. وسيعطى فكرة سيئة عن عدم الاستقرار فى الصومال فى الوقت الذى ستصل فيه بعثة من البنك الدولى لمعرفة مايمكن تقديمه من العون المالى للصومال.

وعندما اتصل كمال الدين صلاح بهم وجد أن عناصر معينة فيهم شديدة الرغبة فى القيام بأعمال العنف.. وتبين له أن القنصل البريطانى مرة أخرى هو الذى يتصل بهم ويحرضهم ويقنعهم بأنهم لو استعملوا العنف فسوف يحصلون على مطالبهم. وبعد يومين قال له مدير الداخلية الايطالى ان تحريات البوليس أثبتت أن الانجليز هم الذين يحركون هذه الفتنة..

وظل كمال الدين صلاح يقنعهم بتأجيل المظاهرات شهرا كاملا.. قامت بعده المظاهرة

ولكنها كانت هادئة بعد أن هدأت النفوس، وأخذت الادارة عدتها..

واقترح كمال الدين صلاح بهذه المناسبة حلا دائما للمشكلة بإقامة مزارع تعاونية يتملكها المحاربون القدماء..

على أن الورقة الكبرى التى تلعب بها انجلترا فى تلك البلاد هى:

الصومال الكبير..

فعندما كان الانجليز يحتلون الصومال، أيقظوا لأول مرة الأمل فى توحيد الصوماليات الثلاثة: الايطالى والانجليزى والفرنسي فى دولة صومالية واحدة كبيرة. وأمنت الأحزاب بذلك ووضعت كلها تقريبا هذا الهدف فى برامجها.. فلما انسحب الانجليز وعادت الادارة الايطالية لم يتركوا الفكرة تموت بل ظلوا يوالونها بالعناية والدعاية.

هنا.. وسوف يندهش البعض: لقد تعودنا من الانجليز فى كل مكان أن يتبعوا سياسة فرق تسد، وأن يعمدوا إلى إذكاء الخلافات واصطناع التقسيمات.. فكيف يتزعمون وحدة الى الاتحاد فى هذه المنطقة بالذات؟..

لهؤلاء.. يكفي أن نذكر تجربة دعوات الوحدة فى البلاد العربية فقد كان الانجليز يتزعمون الدعوة الى مشروعات معينة للوحدة، مثل مشروع الهلال الخصيب، بقصد ان تدخل دول تحررت من فرنسا مثل سوريا فى وحدة مع دول خاضعة للنفوذ الانجليزى كالعراق.. فانجلترا بذلك تكسب، ولكنها فى نفس الوقت تقاوم اتحاد دولة متحررة كسوريا مع دولة متحررة اخرى مثل مصر. لانها لن تستفيد من مثل هذه الوحدة، بل على العكس قد تصبح هذه الوحدة فى ظل الحرية خطرا عليها.

نفس السياسة تتبعها انجلترا فى الصومال! إنها تدعو إلى الوحدة بين الصوماليات لكى تصبح دولة واحدة «تدخل فى نطاق الكومنولث البريطانى». أما الوحدة بمعنى أن يستقل الصومال الانجليزى وينضم الى الصومال الايطالى.. فلا!..

هنا ينجم سؤال يبدو محيرا: كيف يدعو الانجليز الى الوحدة من ناحية.. وفى ناحية اخرى نراهم يعطون قطعا من صميم الصومال الى الحبشة تضمها إلى أراضيها؟..

والإجابة على هذا السؤال ايضا ليست صعبة بعد تأمل قليل.

إن غاية الانجليز الاخيرة هى صرف الصوماليين جميعا عن قضايا الاستقلال وعن الاهتمام بمحاربة الاستعمار. واعطاء هذه المناطق للحبشة يصرف الصوماليين إلى قضايا

غير قضايا الاستقلال: قضية الوحدة والاصطدام بسببها بإيطاليا وفرنسا. وقضية استعادة الأرض من الحبشة وما يؤدى اليه الاحتكاك بالحبشة من اضطرابات دائمة فى المنطقة تشغل شعوبها عن التفرغ لمصالحها الحقيقية وتحسين أحوالها الداخلية مما يسمح لانجلترا بالبقاء وتنفيذ اغراضها السياسية.. كما خلقوا مشكلة اسرائيل فى البلاد العربية!.

فى هذه الخطوط كانت تتحرك سياسة انجلترا: فمحطة اذاعتها فى «هرجيسة» لاتكف عن الدعوة إلى الصومال الكبير مع تحريض خفى ضد الادارة الايطالية.. وساستها ابتداء من حكام الصومال إلى وكيل وزارة المستعمرات نفسه لورد لويد يترددون على الصومال بحجة السياحة والزيارة، ويتصلون بالزعماء، ويحدثونهم عن فكرة الصومال الكبير.. وهم يقولون لهؤلاء الزعماء عادة ان مستقبل الصومال سيكون مظلما بعد سنة ١٩٦٠ بسبب العجز المالى فى ميزانيتها، وانها سوف تحتاج بناء على ذلك الى مساعدات مالية اجنبية، إلا إذا انضمت إلى الصومال الانجليزى لكى تستعين بمواردها.. ويحضر القنصل الانجليزى آلات سينما يريد أن يهديها إلى اندية الاحزاب السياسية لتعرض فيها افلام سينمائية عن التقدم فى بلاد الكومنولث والمستعمرات الحاصلة على الحكم الذاتى فى ظل الانجليز، ولكن زعماء الاحزاب يرفضون قبولها..

ويرسل القنصل الانجليزى عميلا من عملائه يقترح على الزعماء الصوماليين أن يشتركوا فى كتابة عريضة يرفعونها الى الحكومة الانجليزية طالبين منها أن تساعدهم على تحقيق فكرة الصومال الكبير ضمن رابطة الشعوب البريطانية.. ولكن الزعماء يرفضون أيضا أن يعطوا الانجليز هذه الوثيقة التى يستطيعون أن يجدوا فيها سندا شرعيا لمطامعهم..

كل هذا كان يقض مضاجع الايطاليين فى الصومال.. وكان الدكتور بنادريللى مدير الشئون الداخلية لايفتأ يقابل كمال الدين صلاح ويقول له إن تقارير الامن تؤكد نشاط القنصل البريطانى الخفى، وتؤكد تآمره المستمر على الادارة الايطالية.

هل هذه هى كل القوى المتصارعة على الصومال؟.. هل هذه هى كل الوحوش التى ترتاد الغابة هناك؟....

كلا..

هناك قوة أخرى عارمة، جاءت فى ضجة هائلة تنازع القوى القديمة وجودها، تلك هى الولايات المتحدة الامريكية!

ان الانجليز والايطاليين يحتكرون الموز والسكر وما الى ذلك.. أما الأمريكان، فإنهم يشمون فى هذه الارض البكر رائحة شيء جديد.. رائحة بترول..!

لقد وصلت الى الصومال شركة سنكلير الامريكية للتنقيب عن البترول، بعد أن حصلت على امتياز بذلك، منحته إياها الإدارة الإيطالية، والحكومة الإيطالية..

ولم يقف كمال الذين صلاح من شركات التنقيب الامريكية موقف عداء، بل كان موقفه على العكس أقرب إلى الترحيب بها. فاكتشاف البترول فى هذه البلاد سوف يرفع مستوى معيشتها بغيرشك. واكتشاف البترول لايمكن أن يتم الا بواسطة دولة أجنبية لديها اموال كبيرة ولها دراية بترولية قديمة. ولكنه كان إلى جانب ذلك مهتما بالمحافظة على حقوق الشعب الصومالى فى هذا البترول.. حتى لاتهدر، وحتى لاينتهز أحد فرصة الوصاية، لسرقة هذه الحقوق..

وقد بدأ نشاط أمريكا لفتح طريق امام نفوذها فى الصومال منذ سنة ١٩٥٠، أى منذ قررت الأمم المتحدة وضع الصومال تحت الوصاية.. واختارت ايطاليا للقيام بدور الوصية.. وفى ذلك الوقت كانت أمريكا تطبق فى أوروبا مشروعها الضخم الذى عرف باسم «مشروع مارشال» لمساعدة دول غرب أوروبا اقتصاديا، وكانت ايطاليا من أشد الدول حاجة الى تطبيق هذا المشروع عليها حتى تستطيع أن تتلقى المزيد من العون المالى والاقتصادى الأمريكى وانتهزت الولايات المتحدة هذه الفرصة كالعادة لكى تملى شروطها على ايطاليا وكان فى مقدمة شروطها: أن تسمح لها ايطاليا بتقديم المساعدات الاقتصادية الى الصومال أيضا.. كانت امريكا فى ذلك الوقت فى بدء وضع سياسة إفريقية لنفسها. كانت فى تمددها العالمى ورغبتها فى السيطرة على الأسواق والخامات محتاجة الى نقط ارتكاز تضع فيها قدمها فى افريقيا. فانتهزت وجود هذه الثغرة لكى تنفذ منها.

ووافقت ايطاليا وأرسلت بعثة النقطة الرابعة الموجودة فى روما خبراءها الى الصومال يدرسون شئونه ويتجولون فى أنحائه ثم يعودون بتقارير وافية عن أبحاثهم: تقارير عن الطرق، وتقارير عن الموانى وتقارير عن المياه الجوفية وتقارير عن الثروة الحيوانية.. وفى اثناء ذلك طاف هؤلاء الخبراء بكل أنحاء الصومال، وقاموا بمسحها وتصويرها، حتى

أصبحت لديهم فكرة وثيقة عن كل شبر فيها.

وفى سنة ١٩٥٤، عقدت أمريكا اتفاقية سرية مع ايطاليا بشأن «المعونة» الاقتصادية التى تقدمها الى الصومال. وقد كان غريبا ومريبا أن تعمد امريكا وايطاليا الى ابقاء مثل هذه الاتفاقية سرية، فلاتخطر بها المجلس الاستشارى للامم المتحدة رغم مخالفة ذلك لنص اتفاقية الوصاية التى تلزم ايطاليا بأن تأخذ رأى المجلس فى جميع المشروعات المتعلقة بتقدم الصومال الاقتصادى! فلم يعرف المجلس الاستشارى بوجود مثل هذه الاتفاقية، ولم يسمع الصوماليون أنفسهم بها، الا من طريق الاشاعة والسماع، عندما بدأ الخبراء الأمريكيون يتوافدون!..

وبعد ذلك جاء البترول..

ففى فبراير ١٩٥٥، نجد كمال الدين صلاح يكتب قائلا: «جاء مستر آدم مدير شركة سنكلير الأمريكية للبترول فى زيارة قصيرة لمقديشيو. وقد حضر لزيارتى فى مكتبى بالأمم المتحدة ومعه مستر دونوفان، المدير المحلى لمكتب الشركة فى الصومال وقد تناول الحديث نشاط الشركة وأعمال البحث التى تمت الى الان وقال لى مستر آدم انهم لم يعثروا على شىء الى الان، ولكن نتائج الأبحاث الأولى تشجع على الاعتقاد بوجود البترول فى الصومال..

«وانتقل الحديث بعد ذلك ألى مايتردد من إشاعات عن المصير المظلم لرؤوس الأموال الاجنبية والخسائر التى ستتعرض لها الشركات والأفراد الأجانب عندما يعود حكم هذه البلاد إلى أهلها فى سنة ١٩٦٠، وتسود موجات من التطرف الوطنى مصدرها كراهية كل ماهو أوروبى أو أجنبى وقد قلت له اننى أستطيع أن اؤكد له – بحكم اتصالاتى الدائمة الوثيقة مع زعماء هذه البلاد وأهلها، ومعرفتى بحقيقة نواياهم – أنهم لايضمرون أى شر نحو الأجانب أو المؤسسات الأجنبية بل إنهم على العكس سوف يعملون على تقديم كل الضمانات الممكنة لتشجيعهم على الاستمرار، فى توظيف رؤوس أموالهم فى البلاد لاستثمار خيراتها، لأن هذا يتفق مع مصالح البلاد، وأضفت اننى أسمح لنفسى بأن اعطيه باسم زعماء هذه البلاد تأكيدا قويا بأن ممتلكات شركات سنكلير ومصالحها فى الصومال ستلقى كل الحماية والرعاية عندما يصير حكم الصومال فى يد أبنائه، والمهم فى الأمر هو أن على الشركات من جانبها أن ترعى حقوق البلاد وتحترمها. وقد أبدى مستر

آدم ارتياحا كبيرا لما سمعه منى، وقال إنه يشعر الان ان مقابلته لى وهذه التأكيدات المطمئنة هى أكبر ربح حصل عليه من زيارته الحالية للصومال، وأنه يفهم مدى مكانة مصر عند اهالى هذه البلاد».

وفى يوم آخر نجده يكتب قائلا:

«دعوت زعماء جميع الاحزاء الصومالية وسكرتيريها الى منزلى دعوت ايضا مديرى شركة سنكلر وروجر وبعض موظفيها المسئولين، وبعد ان قدمت كل فريق الى الاخر ذكرت أن الفكرة فى عقد هذا الاجتماع هى أن يتعرف أصحاب البلاد برجال الشركات ذات المصالح التى تعمل فى بلادهم وان يتبادلوا وإياهم وجهات النظر بما يحقق الخير والمصلحة للطرفين. وهذه الخطوة فى نظرى ضرورية لأن هؤلاء الزعماء هم الذين سيصير أمر البلاد وحكمها اليهم بعد سنوات قليلة. وأشرت الى الدعوة والتأكيدات التى أعطيتها الى مستر آدم مدير شركة سنكلر الرئيسى عندما كان هنا باسم زعماء البلاد وأهلها، وانني أرجو أن أكون مصيبا فيما عبرت عنه باسمهم. والان فاننى أترك أمر المناقشة للطرفين صاحبى الشأن، واننى على استعداد تام فى كل وقت لأن اكون رابطة حسن تفاهم وتعاون بينهما كلما طلب منى ذلك وقد تكلم زعماء الاحزاب بعد ذلك فقالوا انهم يؤيدون كل التأييد الوعود التى أعطيتها باسمهم واننى أستطيع دائما أن أتحدث فى المستقبل باسمهم، فهم مطمئنون الى أننى لا أفعل الا مافيه مصلحة الصومال..

«واستمرت المناقشات والاستفسارات من الجانبين بعد ذلك. ولما انتهى الاجتماع شكرنى مدير شركة سنكلر على تنظيم هذا الاجتماع مع الزعماء، وقال «انه يعرف أن نفوذ ممثل مصر قوى فى الصومال وانه يرجو أن أكون صديقا للشركة ومعينا لها سواء لدى الأهالى أو أمام هيئات الأمم المتحدة» وقد أجبته بأننى صديق للشركة على شرط أن تبقى حقوق الشعب المشروعة مصونة ومعترفا بها.

هكذا كان موقف كمال الدين صلاح إزاء شركات البترول موقفا واسع الصدر والأفق. ميالا الى التفاهم، راغبا فى أن تقوم صناعة بترول تستفيد منها الشركة وتستفيد منها البلاد.. ولكن.. لقد جدت مشكلة غريبة.. مشكلة لم يجد كمال الدين فيها مفرا من الاصطدام بشركات البترول.

لقد ظهر ان الادارة الايطالية قد أبرمت مع الشركات الأمريكية عقود امتياز لم

تعرضها لاعلى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة ولا على المجلس الاقليمى الذى يتكون من الصوماليين أنفسهم، وذلك رغم أهمية هذه العقود.. الأمر الذى جعل مجلس الوصاية فى دورته الرابعة عشرة فى نيويورك يكلف المجلس الاستشارى ببحث شروط هذه العقود من جديد، وأبداء الرأى فيها.

وكان كمال الدين قد اعتاد ان يناقش كل المسائل الهامة مع الزعماء الصوماليين وأعضاء المجلس الاقليمى.. ويقول كمال الدين هنا: «إن الذى دفعنى إلى تبادل الرأى مع الزعماء الصوماليين فى هذا الموضوع بالذات هو مالاحظته من جانب مندوبى كولومبيا والفيليبين من ميل الى التساهل الشديد فى الأمر، وحجتهم فى ذلك أن المطالبة بإعادة النظر فى العقود لم التشدد من أجل الحصول على شروط أفضل لمصلحة الصومال قد يكون سببا فى أن توقف الشركات عمليات البحث وتتنازل عن الامتياز كلية. والبلاد فقيرة وفى أشد الحاجة الى موارد مالية تعينها على مواجهة التزاماتها والنهوض بشئونها، ولهذا احببت أن أعرف وجهات نظر الزعماء السياسيين وأن أكاشفهم بما أنوى قوله والمطالبه به فى المجلس وأحصل على تأييدهم لى. وشرحت لهم أن وجهة نظرى فى الموضوع هى انه لا ضرر من التسامح مع الشركات واعطائها امتيازات سخية لتشجيعها على البحث والتنقيب.. أما شروط الاستغلال عند العثور على البترول، فليس هناك معنى للتساهل فيها، ويجب أن تكون مشابهة للشروط المتفق عليها فى البلاد القريبة من الصومال، كالكويت والمملكة السعودية. وقد وجدت منهم تأييدا كاملا لوجهة نظرى.. وقد كان موقفى فى مناقشات المجلس الاستشارى مستندا إلى هذا الاتفاق..»

ولم يقتصر ضغط امريكا على ايطاليا على قضية البترول وحدها.. فعندما طرح النزاع بين الحبشة والصومال على تعيين خط الحدود أمام مجلس الوصاية، كان رئيس مجلس الوصاية فى تلك الدورة أمريكيا هو مستر سيرز، فدعا إلى إنشاء منطقة حرام بين الحبشة والصومال، وهذا يعنى ضم مقاطعة الأوجادين نهائيا إلى الحبشة، مع أنها أرض صومالية يسكنها صوماليون، بل وليس فيها أقليات حبشية.. ففى حدود هذه المنطقة يقوى أمل شركة سنكلر فى العثور على البترول، والحبشة متحالفة تحالفا كاملا شاملا مع امريكا. وايطاليا لاتعترض على ذلك استرضاء لامريكا من ناحية، وللحبشة نفسها من ناحية، فلإيطاليا فى الحبشة مصالح وآلاف من الرعايا..

ومع الزمن كان اهتمام امريكا بالصومال يتزايد ويتشعب.. فبعد خبراء النقطة الرابعة، وبعد الأمل فى اكتشاف البترول، كان لابد من انشاء قنصلية أمريكية وكان لابد أن تتوسع «المساعدات» الأمريكية حتى تشمل - ولو فى الظاهر - كل مرافق البلاد وتصبح لها مع الزمن سيطرة حقيقية على الاقتصاد الصومالى..

ولم تكن المبالغ التى قدمتها امريكا لمساعدة الصومال فى الواقع كبيرة ولكنها كانت تحيطها بهالة من الدعاية تريد بها أن تبهر الصوماليين واحداث أثر نفسى معين فيهم ففى سنوات ١٩٥٤ و١٩٥٥ و ١٩٥٦ مثلا بلغ مجموع ماقدمته امريكا للصومال ٦٠٠,٠٠٠ دولار أى حوالى ٢٠٠ الف دولار فى السنة.. وهو فى ذاته مبلغ بسيط ولكن بهذا المبلغ البسيط استطاعت أمريكا أن تضع هذه اللافتات:

١- مشروع لتنمية الثروة الحيوانية.

٢- مشروع لاستغلال المنخفضات القريبة من الأنهار فى تخزين المياه خلال موسم الفيضان.

٣- مشروع رى على نهر جوبا.

٤- مشروع رى بالقرب من جينالى على نهر شبيلى.

٥- مشروع للزراعة الجافة اعتمادا على مياه الامطار.

٦- مشروع رى بين جوهر وأفجدى بحفر قنوات وإقامة بوابات.

٧- مشروع لتخزين الحبوب فى صوامع من الأسمنت المسلح.

٨- مشروع إدارى لشراء المشتريات.

٩- مشروع دراسة جيولوجية للمياه الجوفية.

١٠- مشروع حفر الآبار العميقة.

وكما كان كمال الدين يتوقع ويخاف بدأ هذا التسلل الامريكى الاقتصادى يتطور الى مراحل لاتؤدى إلا إلى خلق سيطرة سياسية حقيقية لامريكا على هذه البلاد..

ففى نوفمبر ١٩٥٦ أصدر الحاكم الادارى الايطالى للصومال مرسوما بإنشاء وكالة للتنمية الاقتصادية وهى عبارة عن هيئة مستقلة لها شخصيتها القانونية، تستمد اعتماداتها من الادارة الايطالية ومن «أى جهات مالية اخرى».

وفى مذكراته كتب كمال الدين متوجسا «يظهر أن وكالة التنمية الاقتصادية هذه قد

أنشئت بناء على مشورة الخبراء الامريكيين، على أن تكون هى الوسيلة التى تسيطر بها أمريكا على توجيه اقتصاد الصومال ومستقبله... فإنه لم يمض الا بعض الوقت على انشائها حتى اعلن انضمام الولايات المتحدة اليها ممثلة فى ادارة النقطة الرابعة. وقد بحثنا مرسوم انشاء هذه الوكالة فى المجلس الاستشارى للامم المتحدة وتبين لى من مناقشتى للدكتور جاسبارى ممثل الادارة الايطالية أن هذه الوكالة هى صاحبة الكلمة الأخيرة فى أقرار أو رفض أى مشروع اقتصادى يعرض عليها. وان موافقة اللجنة الوزارية التى انشئت لبحث المشروعات الضرورية للتقدم الاقتصادى واحالتها الى الوكالة لاتقدم ولاتؤخر فى الأمر شيئا».

وبناء على ذلك.. وقف كمال الدين صلاح فى لجنة الامم المتحدة يعارض بشدة فى طريقة تكوين وكالة التنمية الاقتصادية وفى اختصاصاتها. وطالب بوجوب اشراك الصوماليين فى تكوينها حتى يكون لهم نصيب فعال فى اقرار أى مشروع يعرض للبحث.. وقال إنه لايجوز بأى حال اخضاع نمو البلاد الاقتصادى لتحكم الاجانب مهما كانوا، خبراء او فنيين حتى ولو كانوا يمثلون الجهات المتبرعة بالاموال، وإلا أدى ذلك الى فرض سيطرة سياسية على الصومال.وأخذ المجلس برأى كمال الدين، وأرسل كتابا الى الحاكم الادارى بذلك.

وأبدت الادارة الايطالية ميلها الى الاستجابة لهذا الرأى. ولكن تصرفات أخرى كانت تجرى فى نفس الطريق المؤدى الى اخضاع الصومال للسيطرة الاجنبية الكاملة... فبعد أيام من هذه الجلسة الهامة نجد كمال الدين صلاح يكتب مرة أخرى متوجسا:

«.. ترامى الى سمعى أن تفكير الادارة الايطالية يتجه الى ان يضم مجلس ادارة وكالة التنمية الاقتصادية بعض أشخاص معينين من الايطاليين والامريكيين، وهم المدير المحلى لشركة سنكلر الامريكية للبترول والمدير المحلى لشركة آجيب الايطالية للبترول، ورئيس هيئة الخبراء الامريكيين فى الصومال. ولو صح هذا فإنه نذير غير طيب يحمل الدليل على مايبيت للصومال من إخضاعه لسيطرة رجال المال والاعمال الامريكيين والايطاليين. ونحن حين ندقق النظر فى أمر المعونة المالية التى تقدمها امريكا للصومال نجد أن أغلبها يصرف فى دفع مرتبات واجور انتقال الخبراء الامريكين ثم شراء الات امريكية والمبلغ الباقى الذى يصرف فى الصومال هو من الضآلة بحيث لايستحق كل هذه الضجة».

وفى صفحة اخرى نجده يقول:

«بعد ان وفقت الحكومة الامريكية فى خطواتها الاولى نحو وضع أقدامها فى الصومال، بدأت المفاوضات بين شركة سنكلر الامريكية للبترول وبين الشركة الايطالية وانتهت تلك المفاوضات بأن منحت شركة سنكلر امتيار التنقيب واستخراج البترول لمدة أربعين سنة، كما منح حق التنقيب فى منطقة اخرى لشركة آجيب الايطالية. وقد تضمن الامتياز الممنوح لشركة سنكلر شروطا سخية جدا لصالح الشركة حتى انه عندما عرض على المجلس الاستشارى للامم المتحدة لابداء الرأى فيه أبلغ المجلس الادارة الوصية ضرورة اعادة النظر فى شروط الامتياز وتعديلها بما يضمن مصالح الصومال وبصفة خاصة فيما يتعلق بحصة الصومال من العوائد والارباح التى يجب ان تكون متمشية مع الحصة التى تحصل عليها حكومات البلاد المتجاورة من استغلال انتاج البترول فى اراضيها. ولكن الادارة الوصية ردت على المجلس ردا مطولا يستفاد منه أنها ترى أن شروط الامتياز معقولة عادلة ولا داعى لاتخاذ اى خطوات لتعديلها. وهو رد عجيب يعتبر دليلا على مدى قوة النفوذ الامريكى لدى السلطات الايطالية.

«.. واذا صح مايقال من ان شركات التنقيب عن البترول فى الوقت الذى تعمل فيه لصالحها وللحصول على مصادر جديدة للربح، تعمل أيضا لحساب المخابرات العسكرية الامريكية بالحصول على خرائط دقيقة مفصلة للمناطق التى تعمل فيها، وجمع معلومات عن طبيعة تلك المناطق، والاهالى القاطنين فيها وطرق مواصلاتها.. إذا صح هذا القول فإن مايملأ الجو من إشاعات عن رغبة امريكا فى الحصول على حق اقامة قواعد جوية عسكرية فى الجزء الشمالى من الصومال، قد يكون له نصيب من الصحة، وإن كان التنفيذ سيؤجل على الأغلب لبعض الوقت».

هكذا تتوالى انواع النفوذ الامريكى الواحد تلو الاخر فبعد الاقتصاد والمساعدات تأتى السياسة وبعد السياسة سوف تأتى القواعد العسكرية والقوات المسلحة. ان شمس امريكا فى هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة من افريقا والمحيط الهندى تطفىء شموس ايطاليا وانجلترا!.

هذا الصراع الذى تدور له الرأس.. هذا الصراع الذى تشترك فيه انجلترا وفرنسا وايطاليا وامريكا.. ليس كل شىء فى هذا البلد الصغير.

فالصومال له جارة أكبر وأقوى، هى اثيوبيا.. وقد كان المفروض ان تجد الصومال فى جارتها الافريقية نصيرا ومساعدا لها، كان المفروض أن تجد فى جارتها الافريقية جدارا تسند ظهرها اليه اذا تكاثر عليها الطامعون.. ولكن الظروف السياسية مع الأسف جعلت من هذه الجارة مصدرا آخر للخطر على الصومال، وطامعا آخر يشترك فى الصراع الدائر فى هذا البلد الصغير..

والأسباب من بينها - مع الأسف - أن اثيوبيا مسيحية والصومال مسلمة والأصل فى هذا العصر ان الدين يجب ان لايكون قضية سياسية، ولاسلاحا سياسيا. ولكننا سوف نرى بعد قليل كيف أن الاستعمار هو الذى لجأ الى هذا السلاح. وهو الذى بدأ باستغلال الدين..

ومن بين هذه الاسباب - ايضا - أن اثيوبيا مرتبطة الى حد بعيد بالسياسة الغربية عموما، والامريكية بوجه خاص. فاثيوبيا غاصة بالخبراء الامريكيين والضباط والطيارين الامريكيين. وهى مرتبطة بمعاهدات كثيرة للمساعدة الفنية والاقتصادية والعسكرية.. فهى الدولة الافريقية التى يظهر فيها النفوذ الأمريكى اكثر مما يظهر فى أى بلد افريقى آخر.

ومن بين هذه الاسباب - اخيرا - ان اثيوبيا لها مطامع اقليمية فى الصومال..

فعندما انتصرت القوات الانجليزية سنة ١٩٤١ على القوات الايطالية، وطردتها من الصومال ومن الحبشة على السواء، بقيت هناك حتى عاد الامبراطور هيلا سيلاسى الى عاصمته اديس ابابا فانسحبت انجلترا من اثيوبيا وبقيت فى الصومال حتى سنة ١٩٥٠ عندما تقرر وضعها تحت وصاية ايطاليا.. وقبل أن تنسحب انجلترا من الصومال، قامت برسم خط حدود بين الصومال واثيوبيا، وصفته بأنه خط مؤقت وبمقتضاه انتزعت منطقة أوجادين من الصومال وأعطتها لاثيوبيا، ومن ذلك الوقت خلقت انجلترا ازمة حدود بين الصومال واثيوبيا.. ومن ذلك الوقت وكل المباحثات التى تجرى لتسويتها تفشل. واثيوبيا بالذات ليست متلهفة على الوصول الى حل. فالأوجادين على اى حال فى يدها، وكل يوم يمر يثبت أقدامها هناك.

وفى سنة ١٩٥٥ فوجئت الصومال - كما سبق أن ذكرنا - باتفاقية سرية أخرى تعقد بين انجلترا واثيوبيا تعطيها بمقتضاها مناطق اخرى صومالية كانت تحت الادارة الانجليزية.

والأوجادين منطقة مسلمة كلها، وسكانها جميعا صوماليون، ليس بينهم ولا اقلية بسيطة من الاحباش.. ومن ذلك الوقت ثار الصوماليون على اثوبيا وأصبحوا يعادونها ويشكون في نوايا كما يعادون الانجليز ويشكون في نواياهم.

وكما ألقى الانجليز بدعوة توحيد الصوماليات الثلاثة في صومال واحد كبير ينضم الى الكومنولث....دخلت اثيوبيا الميدان بدعوة اخرى الى توحيد الصومال مع اثيوبيا، كما اتحدت اريتريا مع اثيوبيا.. وفي هذه النقطة أيضا نستطيع ان نلمح بادرة أخرى من بوادر تزايد النفوذ الامريكي: فاتحاد الصومال مع الصوماليات الأخرى سيكون لحساب الكومنولث البريطاني، أما اتحاد الصومال مع اثيوبيا فسوف تستفيد منه الولايات المتحدة الأمريكية.. خصوصا وأن مناطق الأوجادين وغيرها من مناطق الحدود بين اثيوبيا والصومال هي المناطق التي تأمل شركات التنقيب أن تعثر على البترول فيها... وقد ظهر دور امريكا في هذه القضية واضحا، عندما نوقشت قضية الحدود بين الصومال واثيوبيا أمام لجنة الوصالة في الأمم المتحدة.

«لقد تقدم السيد رفيق عشي مندوب سوريا بمشروع قرار خاص بمشكلة الحدود يوصي فيه بتعيين وسيط في حالة فشل المفاوضات بين ايطاليا واثيوبيا لتسوية الحدود بينها وبين الصومال. وقد نشط الوفد الامريكي في الاتصال بوفود الدول للتصويت ضد مشروع القرار السوري. وقام كمال الدين والسيد رفيق عشي بالاتصال بالوفود للحصول على تأييدها وقد عاونهما في ذلك مندوبو الهند وسلفادور وهايتي.. وكان يتزعم الحملة على مشروع القرار مستر مولكاهي عضو الوفد الامريكي الذي يعتبر مستشار وزارة الخارجية الامريكية في شئون شرق ووسط افريقيا الاستوائية، وذلك لسابق خدمته في اريتريا. ولما كانت الولايات المتحدة قد بدأت تبدي اهتماما واضحا بهذه المناطق واتخذت من اثيوبيا مركزا لمباشرة نشاطها وتنفيذ سياستها الافريقية فقد كان من المنطقي أن يعارض الوفد الامريكي في مجلس الوصاية في اي اجراء فيه تعريض او احراج للحبشة وفي اثناء مناقشة خاصة بين كمال الدين ومستر مولكاهي ذكر الأخير أن مشروع القرار السوري سيكون له رد فعل سيء في الحبشة لأنه مقدم من دولة اسلامية! والأحباش يشعرون أنهم جزيرة مسيحية في بحر اسلامي ويشعرون بالاخطار التي تهدد كيانهم من كل جانب!! ويبدو أن الفقرة الأخيرة من كلام المندوب الامريكي كانت فلتة لسان، فقد حاول بعد ذلك أن

يفسرها بمعنى آخر، وان يقول ان هذا تفكيره الشخصى.. فأجابه كمال الدين بأنه لامبرر لمثل هذا الشعور او التفكير، وأن الاعتقادات الدينية وحدها ليست اساساً تبنى عليه تصرفات الدول.. ثم إن رفض مشروع القرار السورى معناه بقاء مشكلة الحدود معلقة مع ما يؤدى اليه ذلك من متاعب وعدم استقرار فى هذه المنطقة.

وقد وافق المجلس على الاقتراح السورى.

على أننا يجب ان نقف لحظة عند فقرة هامة وردت فى كلام المندوب الامريكى: عن شعور الحبشة بالاخطار التى تتهددها من كل جانب!

ماهى الاخطار التى تتهدد الحبشة من كل جانب؟..

إن كل الدول المحيطة بها إما مستعمرات، او دول مستقلة أقل منها قوة.. ولم يعرف أحد أن هناك دولة واحدة فى هذه المنطقة لها مطامع فى أى مكان على الأرض.. إنها كلها شعوب تريد أولا أن تستقل أو أن تحل مشاكلها الداخلية. ثم ان اثيوبيا فى منطقة بعيدة عن التوتر الدولى والحرب الباردة.. فهى نموذج للبلد الذى لاتتهدده اى أخطار.. ولكن السياسة الامريكية فيما يبدو يهمها «افزاع» دولة كاثيوبيا، واقناعها بأن هناك اخطارا وهمية تحيط بها، وتخويفها كذبا بأنها جزيرة مسيحية فى بحر مسلم !! فبذلك تستطيع أن تتغلغل وأن تبنى القواعد العسكرية.. اذ كيف تقنع دولة كاثيوبيا بأن تبنى فيها قواعد عسكرية الا اذا اقنعتها بأنها للدفاع عنها «ضد خطر ما»؟..

وقد أثمرت هذه السياسة حتى فى المسائل الخارجية البعيدة نسبيا عن اثيوبيا، فعندما نوقشت قضية الجزائر فى الجمعية العامة للامم المتحدة صوتت اثيوبيا ضد طلب ادراج القضية، كما صوتت الولايات المتحدة. وكان غريبا أن تصوت دولة افريقية قاست الاستعمار خمس عشرة سنة ضد حرية شعب افريقى آخر يكافح بالدم ضد الاستعمار!... إنه موقف غريب، جاء ثمرة السياسة الاجنبية، التى تريد أن تخلق العقد النفسية وتخلق أسباب التنافر بين الدول الافريقية وبعضها البعض.. رغم انها دول متحدة المصالح فى واقع الامر..

ونعود الى متابعة خط السياسة الحبشية فى الصومال، بعد أن فهمنا دوافعها..

لقد بدأت الحبشة فأرسلت مستر «إميديميكايل ديساليج» إلى الصومال بوصفه «ضابط اتصال» اذ لم تكن لها هناك قنصلية بعد.. وفى مذكرات كمال الدين صلاح نجده يسجل

ملاحظة غريبة عن وصول ضابط الاتصال هذا «... إنه بدرجة وزير مفوض. وقد سبق ان عينته حكومته ضابط اتصال لها فى اريتريا أثناء فترة تقرير المصير التى انتهت بانضمام اريتريا الى الحبشة فى اتحاد فدرالى، وقد سمعت انهِ كان لنشاطه اثر كبير فى الوصول الى هذه النتيجة. وينسب اليه البعض تدبير اغتيال زعيم الجبهة الاسلامية فى اريتريا يوم استعداده للسفر الى امريكا لحضور اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة لمعارضة انضمام بلاده الى الحبشة، وبذلك بقيت فكرة المعارضة سجينة داخل حدود اريتريا نفسها، ولم يقدر لها أن تجد الطريق الى المحافل الدولية فى اللحظة الحاسمة!..»

بهذا التاريخ جاء ضابط الاتصال الحبشى الى الصومال.. ولم يأت ضابط الاتصال بمفرده. لقد جاء ومعه كميات كبيرة من الأموال، بدأ على الفور فى استثمارها.. بشراء بعض الناس بغية تأسيس حزب صومالى جديد يدعو الى اتحاد الصومال مع الحبشة!.. ولكن محاولات ضابط الاتصال بدأت تقابل بالصد والإعراض.. ففى نفس الوقت كانت الأنباء والاشاعات تأتى مع الصوماليين الهاربين.

من منطقة الأوجادين عن اضطهاد حكومة الحبشة للصوماليين الذين ضم الانجليز أرضهم الى الحبشة!.. وكان هذا - بعد الطريقة التى استولت بها الحبشة على بعض اراضى الصومال - كافيا لافساد اى دعاية للوحدة معها..

وفى يوميات متفرقة لكمال الدين صلاح، نجد ملاحظات متناثرة هنا وهناك عن نشاط ضابط الاتصال الحبشى، لوجمعناها جنبا الى جنب، لوجدنا فيها مثلا:

«وجد ضابط الاتصال الحبشى من الصوماليين نفورا شديدا واعراضا تاماً عن الاتصال به، فأخذ يتقرب من الاهالى محاولا كسب مودتهم. وقد واظب على الجلوس فى فناء الفندق الذى ينزل فيه، وهو الفندق الوحيد فى المدينة وملتقى الفئات الواعية - وبدأ يتلطف مع القادمين، ويقدم القهوة او الشراب لمن يجلس معه او حتى لمن يجلس على مائدة قريبة منه. يريد بذلك ان يغرى الكثيرين ممن يريدون تناول اى شىء دون دفع ثمنه أن يجلسوا معه او حوله لتبدو الدائرة المحيطة به كبيرة، على أن هذه الطريقة لم تستمر طويلا. فقد حدث يوما أن أقبل أحد الشبان، وهو مدرس فى مدارس الادارة الايطالية، على الفندق.. فلما شاهد من بين الجالسين مع المبعوث الحبشى السيد عبدى نور زعيم حزب الدجل ومريفلة وكان المبعوث الحبشى قد رآه فدعاه الى الجلوس معه - ثار الشاب

واندفع نحوهم ووجه اليهم عبارات تهديد عنيفة بصوت مرتفع وكان نائب حاكم مقديشيو موجودا فى الفندق فى ذلك الوقت فأسرع الى التدخل، وأخذ المدرس الثائر الى البوليس».

«المبعوث الحبشي يخلق حول نفسه جوا من الخوف.. لقد اخذ معاوناه يذيعان عنه حكايات واشاعات بأنه رجل ارهابى يبطش بخصومه، وانه سبق أن دبر الكثير من حوادث الاغتيال فى اريتريا. يريد بذلك القاء الرعب فى نفوس الذين يعارضونه».

«يقوم المبعوث الحبشى بالحملة على مصر وعلى الشعوب العربية كلها صراحة وعلانية، مع جميع من يتصل بهم من الصوماليين. وقد حدث منذ أيام أن كان السيد نجيب ابوعز الدين ضابط الشئون السياسية فى سكرتارية المجلس الاستشارى جالسا فى الفندق، فأقبل عليه أحد الصوماليين وسأله عما إذا كانوا حقيقة فى لبنان ينعتون أهالى الصومال بأنهم «عبيد» فنفى ذلك واستنكره. ولما استفسر عن سبب السؤال، أخبره الرجل أن مساعد المبعوث الحبشى قد اخبرهم بذلك الآن، وقال لهم انه تلقى علومه فى بيروت وكان طوال إقامته يلقى الاهانات لمجرد أنه أسود البشرة»..

وواضح ان هذا غير صحيح. فالبلاد العربية فيها البيض والسمر والسود.. وهى لم تعرف التمييز العنصرى بين الالوان المختلفة قط.

«فاتحنى الدكتور بناديللى مدير الشئون الداخلية فى أمر ضابط الاتصال الحبشى ومايشيعه عن نفسه من أنه ارهابى وأنه يبطش بمن يخاصمونه. قال لى أن كل تقارير البوليس السرى تؤكد ذلك.

فأبديت عجبى لجرأة هذا الرجل ومحاولته أن يظهر أمام الناس وكأنه صاحب السلطة الشرعية فى البلاد. وقال لى الدكتور بناديللى: اننا نراقب حركاته عن كثب، وأحب أن أسر اليك بأننى أعتزم المطالبة بسحبه اذا تمادى فى تصرفاته».

«تؤكد المعلومات التى تجمعت لدى ان المبعوث الحبشى يسعى الى تشكيل حزب سياسى موالى للحبشة. وقد ركز آماله فى شخص اسمه محمود البوراكى ليكون رئيسا لهذا الحزب. ومحمود البوراكى كان عضوا فى حزب وحدة الشباب الصومالى ثم انشق عليه لأنهم لايريدون ترشيحه فى الانتخابات وقد وعده ضابط الاتصال بتقديم كل الأموال اللازمة لكى يباشر الحزب نشاطه».

وقد تم بعد ذلك تشكيل الحزب فعلا، باسم حزب شباب الصومال الأحرار، وبرئاسة

محمود البوراكي.. ولما كان محمود البوراكي لايستطيع ان يقدم للناس قضية سياسية تغريهم بالالتفاف حولها، فقد بدأ يعمد الى إثارة واستغلال النعرات العصبية والقبلية.. بإثارة قبيلة «الهوية» التي ينتمي اليها ضد قبيلة «الطاروط» بدلا من أن يعمد إلى إصلاح ما بين القبائل، من أجل مستقبل الصومال.

رجل فى الغابة!..

من كان يتصور ان هذا كله يجرى فى الصومال؟...

هذه المستعمرة الصغيرة الفقيرة، التى يرفرف عليها علم الأمم المتحدة،.والتى يوجد فيها مجلس استشارى يمثل الامم المتحدة،، والتى حددت الامم المتحدة تاريخاً حاسما تحصل فيه على استقلالها.. لم يمنع هذا كله من ان تكون مرتعا لمؤامرات الاقوياء ومناوراتهم. ان هذا البلد الصغير نموذج واضح لافريقيا كلها. القارة التى عاش فيها الاستعمار مئات السنين، لاعمل له إلا أن يمتص خيراتها من جهة، وأن يعمل على بقاء التأخر فيها من جهة اخرى.. فلما تغير العصر، واستقلت اكثر الشعوب، وظهرت الامم المتحدة، وبدأ الضمير العالمى يقوى، لم يرض الاستعمار ان ينسحب، ولكنه مازال يحاور ويناور، يغير أساليبه، ويحمل أسماء جديدة، ولكنه يريد نفس الشىء آخر الامر: اهدار شخصية هذا الشعب، وابقاءه على.تأخره لكى يتيسر له استغلاله أطول فترة ممكنة من الوقت.

ومن النادر أن يتصارع في بلد واحد هذا العدد من الدول الطامعة.. انجلترا وفرنسا وايطاليا وامريكا واثيوبيا.. ولكنهم جميعا يعلمون حقيقة هامة : ان تحرر هذا.البلد الصغير، سوف ينشر النور والتحرر فيما حوله من البلاد، هذه المنطقة المظلمة من العالم،

سوف تكون إضاءة مصباح واحد فيها كافية لكى يعدل الآخرون على إضاءة المصابيح فى بلادهم.

وفى وسط هذا الصراع العميق المرير، وجد كمال الدين صلاح نفسه!. إنه اذا لايصادف مهمة سهلة فى هذه البلاد، بل لعله يواجه أصعب وأدق ماواجه فى حياته من مهمات..

فماذا يصنع؟..

ليس أمامه سوى طريق واحد: أن يؤدى واجبه!..

واجبه نحو الأمم المتحدة التى يمثلها ويمثل رسالتها التحريرية الانسانية فى هذه البلاد..ثم واجبه نحو هذا الشعب الباسل الصغير.. ثم واجبه نحو قارته افريقيا.. ونحو بلاده، ونحو كل الشعوب المستضعفة فى العالم..

ولم يبدأ كمال الدين صلاح بمعاداة أحد. ولكن أداءه لواجبه كان لابد أن يجلب له صداقات وعداوات مختلفة..ومع ذلك فنحن لا نجد- حتى فى طريقة ادائه لواجبه - تزمتا ولاتعسفا.. إنما نرى سماحة ورحابة صدر وسعة افق ورغبة فى التعاون.. بشرط ان لايجعله هذا يتخلى عن مصلحة حقيقية لشعب الصومال، او عن مبدأ اساسى من مبادئ الامم المتحدة..

فأما عن الصوماليين انفسهم، فلا أتحدث هنا عن علاقته بهم. فكل سطور هذا الكتاب ناطقة بما كانوا يكنونه له من حب وتقدير. كان هو بالذات محل ثقتهم أفرادا وجماعات، يرجعون إليه فى مشاكلهم ويستشيرونه فى كل خطوة يفكرون فيها حتى البسطاء من الصوماليين فى الأقاليم والغابات كانوا يرحبون به ترحيبا خاصا.

أما عن الجهات الاجنبية، فهناك عشرات الامثلة يمكن ضربها على اعتدال كمال الدين صلاح وتسامحه ورغبته فى التفاهم معها.. فى بعض صفحات مذكراته نجد كمال الدين صلاح يقول «كنت اتحدث مع الوزير الايطالى اسبينللى السكرتير العام للادارة قلت له إن مصر ليس لها أى مطامع سياسية او اقتصادية فى هذه البلاد، فمركز الصومال وظروفه لاتدعو الى شىء من ذلك. وليس فى تفكيرى ولا قصدى أن أسبب أية مضايقات أو متاعب لايطاليا هنا. بل على العكس نحن حريصون على التعاون مع ايطاليا وتقوية علاقات الصداقة والمصلحة معها. ولكننا يجب ان لاننسى ان هذه بلاد افريقية اسلامية فعلى مصر

واجب مساعدتها خصوصا فى الميدان الثقافى والفنى كما تساعد سوريا والعراق والاردن وليبيا واندونيسيا وغيرها. إذا كان على مصر أن تلعب دورا خاصا فى النهوض بالشعوب الافريقية فإنها تفضل التعاون مع ايطاليا فى هذا الميدان على سواها من الدول الأوروبية الاخرى فهذه الدول الاوروبية الاخرى لها مستعمرات ومطامع فى افريقيا يخشى منها بعكس ايطاليا ونحن لذلك راغبون فى التعاون مع ايطاليا ونرى من حقها أن تكون لها الأولوية على غيرها من الدول الاجنبية وأن يستمر الرعايا الإيطاليون فى الاقامة والعمل مع أهل هذه البلاد فى جو من الصداقة والتعاون، وان نضمن لهم كل رعاية وحماية لاشخاصهم وممتلكاتهم بعد سنة ١٩٦٠».

موقف معتدل واسع الافق. ولكن هذا الموقف لم يجد صداه دائما لدى الادارة الايطالية، فقد كان كمال الدين يصادف نوعين من الساسة الايطاليين هناك: نوع متحرر متطور، كالوزير اسينللى، يعترف بضرورة تنفيذ اتفاقية الوصاية واستقلال الصومال واقامة علاقة من التعاون المثمر على قدم المساواة. ونوع آخر، كالدكتور فرانكا، ليسوا من رجال السلك السياسى أصلا، انما هم من فلول وزارة المستعمرات الايطالية القديمة خلال الحكم الفاشيستى.. فهؤلاء قد تعودوا ان يعاملوا هذه البلاد كمستعمرات. وما زالوا يشعرون بموجدة عميقة ضد كل خطوة يخطوها الصومال نحو الاستقلال، وضد كل من يساعدهم على ذلك، تستعبدهم دائما احلامهم الامبراطورية الفاشستية القديمة.. ولذلك نلاحظ – وسنلاحظ دائما – تردد السياسة الايطالية فى الصومال بين هذين العاملين..

ولكن الادارة الايطالية كانت تقر على الدوام بنفوذ كمال الدين الادبى، وبسمعة مصر العالية فى البلاد، فكانت إذا اشتدت الازمات لجأت اليه ليتوسط بينها وبين الصوماليين، كما رأينا فى ازمة مظاهرات المحاربين القدماء..

وبنفس الروح المتعاونة، تميز موقف كمال الدين من شركات البترول الامريكية وامتيازاتها. لقد حاول كما رأينا فيما سبق ان يوفق بينها وبين زعماء البلاد الذين سيحكمونها بعد الاستقلال.. واراد ان يطمئنها على مستقبلها حتى يشجعها على الاستثمار بما يفيد شعب الصومال، ولكنه فى نفس الوقت كان يجد من واجبه ايضا أن يحافظ على حقوق الصومال لدى هذه الشركات، الأمر الذى جر عليه عدوات اخرى، من الذين يريدون ان يستثمروا البلاد بلاقيد ولاشرط ولا احترام لاستقلالها وسيادتها..

وقد حاولت القوى الاستعمارية هناك أن تتهم كمال الدين بأنه إنما يريد أن يبسط نفوذ مصر على الصومال. على انه ليس هناك دليل واحد على أى مطامع يمكن أن تساور مصر نحو الصومال، إلا مصلحتها فى ان يستقل الصومال كدولة افريقية شقيقة.. الا اننى انقل هذه السطور المشرقة من إحدى يوميات كمال الدين. سجلها وهو فى نيويورك يبدى رأيه امام مجلس الوصاية عن مشكلة الحدود بين الصومال والحبشة، ناطقة بفهم كمال الدين لواجبه، وتفريقه بين كونه ممثلا لمصر وممثلا للأمم المتحدة:

«..قال لى رئيس وفد الحبشة الدائم فى الأمم المتحدة ان دفاعى عن الصومال فى قضية الحدود أمام مجلس الوصاية يعتبر موقفا غير ودى من مصر ازاء الحبشة. وقلت له: اننى اقدر تماما علاقات الصداقة التى تربط مصر بالحبشة من قديم الزمان. وأنا مدرك أيضا للمصالح المتبادلة بين البلدين فمصر لها مصالح هامة ومباشرة مع الحبشة فى حين انه ليست لها اية مصالح مباشرة او غير مباشرة مع الصومال، لافى الميدان السياسى ولافى الميدان التجارى ولافى غيرها. ولكننى احب فى الوقت نفسه ان اوضح لك اننى فى موقفى امام مجلس الوصاية لا اعبر عن وجهات نظر حكومتى، فإننى بحكم مركزى كعضو فى مجلس الامم المتحدة للصومال رجل دولى، ومن واجبى رعاية مصالح الصوماليين والدفاع عن حقوقهم. ولقد كلفونى بأن ابدى وجهة نظرهم للمجلس فى موضوع الحدود وقدموا لى من الادلة والبيانات ما أقنعنى، وأنا فى هذا كالمحامى الذى يوكله شخص للتكلم باسمه او الدفاع عنه أمام المحكمة، فلم يكن فى وسعى والحالة هذه أن أتخلى عنهم أو اخونهم وقد ائتمنونى على حقوقهم، لمجرد اعتبارات خاصة بالعلاقات بين بلدى وبلد آخر، او تنفيذا لتعليمات أتلقاها من حكومتى، فإننى فى هذا الموقف أبيح لنفسى عدم التقيد بهذه التعليمات، ولو اننى فعلت غير ذلك لكنت رجلا غير امين!».

وفى الناحية الاقتصادية، التى بسببها يدور صراع كثير، كان لكمال الدين صلاح رأى هام فى طريقة النهضة باقتصاديات الصومال..

ان مشكلة الصومال الأولى هى قلة الموارد والفقر.. والاستعمار الايطالى خلال إقامته الطويلة فى تلك البلاد لم يهتم بتنمية مواردها، بل اهتم فقط بأن يسهل لبعض الافراد الايطاليين استغلال مايمكنهم استغلاله من مواردها فحسب. وفى فترة الوصاية، كانت الميزانية على الدوام عاجزة وكان واضحا انه لابد ان الصومال سيحتاج الى معونة

اقتصادية سنوية من الخارج. والمشروعات التى كانت تعرض للبحث فى الصومال كثير منها غير واقعى، وكثير منها مبالغ فيه، ربما ينجح فى استثمار مرفق معين كالبترول، ولكنه لايرفع مستوى معيشة الشعب الصومالى ككل.

ومن هذه الظروف ومن معرفته الواقعية بالصومال، ومن رحلاته واتصالاته وامتزاجه بالاهالى رأى كمال الدين صلاح أن الحاجة تدعو الى مشروعات أكثر واقعية تتفق مع حاجة الصومال العاجلة الى الموارد. وأن هذه المشروعات يجب أن تشمل المناطق التى يستغلها الوطنيون لا الاجانب فحسب وعندما جاءت بعثة الامم المتحدة الزائرة الى الصومال، قدم اليها ماسبق ان قدمه الى الادارة الايطالية من اقتراحات، منها:

أولا- الاستعانة بخبراء من الامم المتحدة وبمساعدات من البنك الدولى.

ثانيا- تعليم الأهالى طرق الفلاحة البسيطة التى ثبت نجاحها فى البلاد الافريقية التى تقرب ظروفها من ظروف الصومال. وذلك باحضار موجات من الفلاحين المدربين من البلاد العربية والافريقية العريقة فى الزراعة يعيشون مع الاهالى ويعلمونهم كيف يحرثون الأرض وكيف يروونها بواسطة المحاريث والسواقى البسيط التى يستعملونها وذلك للاستفادة الى اقصى حد من مصادر الثروة الطبيعة التى بين أيديهم وهى الأراضى والمياه والحيوانات.

ثالثا- الاهتمام بمد الطرق الى مناطق انتاج الصوماليين، كما تمد الى مناطق انتاج الايطاليين، وتعليم الصوماليين طرق صيانة هذه الطرق.

رابعا- تسهيل عمليات اقراض الصوماليين ومحاولة خلق رأس مال صومالى وطنى.

خامسا- خلق الصناعات التى تقوم على الخامات الموجودة فى البلاد، مع اشراك الصوماليين فى رأسمالها، بتقديمهم الخامات التى يملكونها كالمواشى فى صناعة منتجات الألبان وحفظ اللحوم مثلا والقصب فى صناعة السكر.

سادسا - تعليم الصوماليين الصناعات المنزلية مثل صناعة الغزل والنسيج اليدوية والاكياس والحقائب وصناعة النجارة والحدادة لعمل لوازم الزراعة البسيطة كالمحاريث والعربات..

هذا الاسلوب، معناه ان تنبع النهضة العمرانية من صميم الشعب الصومالى، ومن موارده وامكانياته الموجودة، مما يفتح أمامه جميع ابواب التطور بعد ذلك، ومثل هذه المشروعات نجاحها أضمن وثمرتها اسرع من المشروعات التى تأتى من الخارج والتى

تعتمد دائما على الخارج..

ولم يكن كمال الدين صلاح يكتفى بشرح أفكاره وتقديم مقترحاته، بل كان لايترك فرصة الا وينتهزها لوضعها موضع التنفيذ فعندما التقى مع مستر جايبال مندوب الهند فى لجنة إلامم المتحدة الزائرة، اقترح عليه ان تهدى حكومة الهند الى الصومال عددا من المناسج اليدوية للصومال. وقد بعث مستر جايبال بهذا الاقتراح الى وزارة الخارجية الهندية التى أرسلت الى كمال الدين صلاح تسأله عن بعض البيانات، فأرسل اليها البيانات، واقترح عليها أن ترسل مع المناسج عددا من النساجين الهنود ليقوموا بتعليم الصوماليين كيفية صنع هذه المناسج وطريقة استعمالها فبذلك يستطيع الصوماليون أن يسدوا حاجاتهم من صناعاتهم المنزلية وخامات النسيج المتوفرة لديهم من رعى الاغنام.

وتنفيذا لفكرة تعليم الاهالى وسائل الزراعة الممكنة وتشجيعها، ذهب الى الصومال بناء على طلب الادارة الايطالية خبير مصرى فى زراعة القطن، قام بدراسة واسعة ثبت منها أن زراعة القطن ممكنة وستكون ناجحة جدا فى هذه البلاد.. وانتهز كمال الدين هذه الفرصة، واقترح على الوزير اسبنيللى ان تحضر بعثة من مهندسى الزراعة ومهندسى الرى المصريين لاقامة محطات تجارب لزراعة القطن ولاستغلال امكانيات الرى ورحب الوزير الايطالى اسبنيللى بالفكرة ترحيبا شديدا.. وقرر تنفيذها فورا. وكلف كمال الدين صلاح بأن يكتب الى مصر فى طلب خبراء الرى والقطن، وأن يقنع خبير القطن المصرى الموجود بإطالة مدة اقامته. وأبلغ كمال الدين ذلك الى زعماء الصومال، واقترح عليهم أن يذهبوا لشكر الوزير اسبنيللى «وقد اعترض بعض زعماء الاحزاب على فكرة الذهاب الى ممثلى الادارة الايطالية وشكرهم، وقالوا لى: انهم طالما سمعوا منهم وعودا لم تنفذ، ولكنى رجوتهم أن يشكروا الوزير، ففى هذا تشجيع للادارة الايطالية من ناحية، وتسجيل للمشروع من ناحية اخرى».

ومر أسبوعان، وسافر الوزير اسبنيللى فى اجازة، وحل محله رجل وزارة المستعمرات الفاشستية القديم الدكتور فرانكا. فإذا به يعلن عن العدول عن هذا المشروع، ويطلب عدم احضار المهندسين المصريين.. ويبرق كمال الدين صلاح الى وزارة الاشغال المصرية طالبا عدم ارسال المهندسين المصريين!!.

لماذا؟..

«.. أعتقد ان السبب ما رواه لى الصوماليون عن الاستقبال الشعبى الذى قوبلت به البعثة المصرية الاقتصادية عندما وصلت الى مقديشيو وانا غائب عن الصومال فقد قالوا لى ان الوف الناس خرجوا الى المطار وهتفوا لها ولمصر هتافات حماسية على مرأى ومسمع من رجال الادارة. ومثل هذا الاستقبال الودى لاترحب به الادارة. خصوصا وان الحاكم العام نفسه لايقابل بشىء عند وصوله ولاشك ان المخاوف والريب تغلبت على نفوس رجال الادارة، قرأوا عدم الاستعانة بأى خبراء مصريين فى هذه البلاد».

اما عن تقديم معونة مالية أجنبية للصومال، بعد الاستقلال، فإن أكثر من دولة من ذوات المطامع تريد أن تكون هى التى تقدم هذه المعونة، كما رأينا فى حالة امريكا، لتكون لها الكلمة العليا فى البلاد. وقد كان رأى كمال الدين صلاح ان هذه المعونة يجب ان تقدم للصومال إما من الامم المتحدة، حتى لاتسيطر دولة ما على استقلال الصومال، وإما من دول بعيدة تماما عن شبهات الاستعمار. وقد انضمت الادارة الايطالية آخر الامر الى هذا الرأى. وقال الحاكم الايطالى لكمال الدين مرة: «اننى افضل ان لاتشترك انجلترا ولا الحبشة فى تقديم هذه المعونة، حتى تكون الصومال بمنأى عن الأزمات التى قد تصيب استقلالها».

لغة ... بالإكراه!...

قد تختلف انجلترا وفرنسا وايطاليا وامريكا والحبشة فيما بينها حول مصير الصومال، كل واحدة تريد أن يكون لها نصيب الأسد فيه، او على الاقل ان تكيف مستقبله بما يناسب مصالحها، فى الزمن القريب والبعيد.

ولكنهم – بعد كل هذه الخلافات – يتفقون على أمر واحد، هو: تدمير كيان الصومال كشعب حر مستقل، ودولة حرة مستقلة.. البذرة الصلبة، التى يتبلور حولها كيان اى شعب متماسك، مطلوب أن تتحطم وتتفتت!.. المطلوب أن يتشكل هذا الشعب الناشىء تشكلا كاذبا.. يهدر مع الزمن شخصيته الحقيقية!.. مطلوب منه ان يكون بين الشعوب كالرجل التافه الإمعة، الذى يقلد هذا ويسير فى ركاب ذاك، وينحنى امام غيره.. مطلوب ان يكون كالماء فى تعريف علماء الكيمياء.. سائل لا لون له ولا طعم ولا رائحة.. فهو يتشكل بشكل ولون الاناء الذى يوضع فيه.. فبذلك يصبح لينا سلس القياد!..وماهى المقومات الاساسية بالنسبة لمثل هذا الشعب الناشىء؟

– اللغة...

– الدين...

– الكرامة القومية ....

– التعليم الملائم لتاريخه وشخصيته ...

– الكيان الاقتصادى...

وقد رأينا فى الفصل السابق، كيف يعمل الاستعمار فى الميدان الاقتصادى، على جعل الصومال فرعا من اقتصاد الدول الكبرى يعيش عالة عليه ولايحيا الا به.. وكيف يقاوم الاستعمار كل مايجعل النهضة الاقتصادية هناك نهضة حقيقية اصيلة نابعة من امكانيات الصومال الحقيقية والان سنرى نشاط الاستعمار لتحطيم كيان الصومال فى سائر الميادين.

اى لغة – مثلا – يتكلم شعب الصومال؟

فى الاصل، ليس لشعب الصومال لغة كتابة وثقافة وتاريخ. انها لهجات بدائية، غير مكتوبة، فليس لها حروف يمكن ان تدون بها. وفى خلال الاستعمار الايطالى الطويل، ارادت ايطاليا ان تجعل الصوماليين يتكلمون الايطالية.. كما جعلت فرنسا الجزائريين – مثلا – يتكلمون الفرنسية.. ولكن اللغة الايطالية لم تنجح ظلت على السطح، كالاحمرار الذى يصيب جلد الانسان من اثر صدمة او ضربة او مرض ثم لايلبث ان يزول، ويبقى للجلد لونه الاصلى! وفى خلال الاحتلال الانجليزى القصير، كانت محاولة الانجليز لتمكين اللغة الانجليزية اكثر فشلا..

فبأى لغة يتكلمون؟..

ان الدين عند الشعب الناشىء عامل أساسى فى كيانه وتفكيره وشخصيته. ودين الشعب الصومالى هو الاسلام ولغة الاسلام هى العربية وهى أيضا اللغة الشائعة فى الاستعمال.. اذا .. فالمنطق البسيط والامر البديهى ان تصبح لغة الشعب الصومالى هى اللغة العربية.. بهذا طالب الناس البسطاء.. وبعد ان وصل كمال الدين صلاح الى «مقديشيو» العاصمة بشهور قليلة كان هناك اجتماع هام لحزب وحدة الشباب اكبر احزاب الصومال وأقواها كان الحزب قد عقد اجتماعه لكى يعيد النظر فى مبادئه على ضوء التجربة والاحتكاك بالناس ورغبة الجماهير.. لقد تكون هذا الحزب خلال الاحتلال الانجليزى وتأثر فى بدء تكوينه بكثير من الاهداف التى دسها عليه الانجليز ولكنه بعد ان مضت مدة كافية اختلط فيها بالناس واكتملت فيها قاعدته الشعبية عقد هذا الاجتماع الهام فى اكتوبر ١٩٥٤ ليقرر فى المادة الاولى من دستوره انه يطالب بأن تكون الصومال

جمهورية دينها الرسمى الإسلام ولغتها هى العربية.

فلماذا لايترك الاستعمار الناس هناك يتكلمون اللغة التى يريدون؟...

ان الاستعمار لايأخذ الامر بهذه البساطة فاللغة فى ابسط نتائجها سوف تحدد نوع العلاقة التى تربط هذا الشعب بغيره من الشعوب فلو تحدث الصوماليون باللغة العربية فسوف تكون ثقافتهم عربية، وتاريخهم عربيا وحضارتهم عربية.. سوف يتأثرون ويتجاوبون ويتقاربون من مصر وشمال افريقيا وسوريا والعراق والسودان سوف تنمو مع الزمن وشائج وشرايين واعصاب بينهم وبين سائر الجسم الشرقى العربى سوف يصبح الدم واحدا والنبض واحدا والاحساس واحدا وسوف يصبح الغرب غريبا عليهم اما اذا اصبحت لهم لغة اخرى قريبة من اللغة اللاتينية فسوف يتعلمون التاريخ من خلال الغرب وسينظرون الى الامور بمنظاره.

واتفق الكل الانجليز والطليان وغيرهم على ذلك حاولوا ان يخلقوا فكرة اللغة الصومالية التى يرفضها الصوماليون انفسهم وقاموا بمحاولات لتدوين هذه اللغة بالحروف اللاتينية..

لكن.. كيف يدرس الصومالى الهندسة والطب والادب والفن؟... ان لغاته البدائية لاتسعفه فى هذا كله، ومن اصعب الصعب البدء فى نحت كلمات جديدة اذا فلا مفر فى هذه الحالة من ان تكون لغة العلم والصناعة والفن لغة غربية: إنجليزية او ايطالية.. وهذا هو بيت القصيد..

وبعد أسابيع من قرار حزب وحدة الشباب الذى يؤازره الشعب، وصلت الى الصومال بعثة الامم المتحدة الزائرة التى أشرنا اليها.

ويسجل كمال الدين صلاح فى مذكراته مادار بينه وبين اللجنة وبين المواطنين فيقول:

«.. أصرت الاحزاب السياسية فى مناقشاتها مع اللجنة على التمسك باللغة العربية والمطالبة بالعناية بتعليمها ورغم مناقشة البعثة لهم مناقشة غير مشجعة فإنهم أصروا على رأيهم وكان مستر ريد رئيس البعثة وهو فى الوقت نفسه مندوب نيوزيلندا أكثر الأعضاء اهتماما بمسأله اللغة كان كل همه محاربة الاتجاه نحو التمسك باللغة العربية وهو فى هذا انما يرعى مصالح بريطانيا فى افريقيا فإن التمكين للغة العربية فى هذه البلاد يعنى فتح الباب لانتشار اللغة العربية وروح التحرر فى مستعمرات بريطانيا المتاخمة للصومال وقد ادخلت الادارة فى روع اعضاء اللجنة أن تمسك الأهالى باللغة العربية ليس عن فهم

لمصالحهم الوطنية إنما بتحريض خفى من مصر ولم يكن هناك من أعضاء البعثة سوى مندوب الهند الذى يأخذ جانب اللغة العربية ولكنه وجد اجماعا من باقى الاعضاء ضد ذلك وقد ذكر لى صراحة أن أعضاء البعثة لايفهمون لماذا يصر الأهالى على التنكر للغتهم الاصلية وان الامر بالنسبة لاعضاء البعثة فى ها الموضوع لايخرج عن مجر التعصب ضد لغة شرقية والخوف مما يؤدى اليه انتشار اللغة العربية فى افريقيا..

«وفى مناقشة لى مع رئيس البعثة، سألته: وماذا بعد اختراع أبجدية اللغة الصومالية؟ ماذا يمكن أن يدرس الصوماليون فى المدارس؟ إن الصومالية لغة لا تاريخ لها وليس بين الصوماليين من لديه القدرة على ترجمة المؤلفات الاجنبية فى العلوم والفلسفة والادب.. الخ.

فقال لى صراحة: يجب ان يتعلم الصوماليون لغة اوروبية على اى حال.. الانجليزية مثلا!»

ثم يتنبأ بما ينتظره قائلا: «أعتقد ان ادخال اللغة العربية الى الصومال كلغة قومية ستوضع فى سبيله كل العقبات والصعوبات التى تخطر ببال انسان وذلك من جانب الدول الاوروبية ذات المصالح الاستعمارية فى القارة الافريقية دفاعا عن كيانها وحرصا على بقائها في المستعمرات التى تسيطر عليها».

ونلاحظ هنا مغزى وقوف مندوب الهند الى جانب رغبة الاهالى فى اللغة العربية: انها ليست لغته ولاديانته، بل ان دولته مشتبكة فى عداء معروف مع دولة اسلامية هى الباكستان، ولكنه مندوب محايد، ليس لدولته مطامع فى افريقيا، ولاهى خاضعة لنفوذ دولة استعمارية، وبذلك استطاع ان يرى الحقيقة ببساطة اما سائر الاعضاء فهم: نيوزيلندى وامريكى!

وبعد شهور، وبالتحديد فى يونيو ١٩٥٥.. انتقلت معركة اللغة العربية الى مقر الامم المتحدة فى نيويورك.. انتقل الى هناك ذلك المشهد العجيب: مشهد شعب لايريد لغته الأصلية، ودول اجنبية تريد ان تفرض عليه هذه اللغة.

لقد انعقد مجلس الوصاية لمناقشة تطور الامور فى شتى البلاد التى وضعتها الامم المتحدة تحت الوصاية. وعندما جاء دور الصومال، دخل القاعة فرسان المعركة: الوزير اسبنيللى، بالنيابة عن الادارة الايطالية فى الصومال، والوزير كوستيللو، وكمال الدين صلاح بالنيابة عن اللجنة الاستشارية للامم المتحدة، ثم اثنان من الصوماليين، يمثلان

أكبر حزبين سياسيين فى الصومال: حزب وحدة الشباب، وحزب دغل ومريفل..

وناقش مجلس الوصاية كل مشاكل الصومال، مناقشة سنعود اليها فى مواضع اخرى، حتى وصل الى مسألة اللغة. وفى قرارات مجلس الوصاية القديمة توصية بأن تهتم الادارة بإحياء اللغة الاصلية وتعليمها..

وأعلن مندوب الصومال صراحة أن شعب الصومال بأسره يطالب باللغة العربية لغة قومية له ويعجب لمحاولة الدول الاخرى ان تفرض عليه لغته الاصلية التى لايريدها!.

وبدأ اعضاء مجلس الوصاية يوجهون الاسئلة وعندما احتدمت المناقشة قال عبدالقادر آدم: ان الدول الإستعمارية انجلترا وفرنسا تتمسكان بضرورة تطوير اللغات المحلية الافريقية وايجاد طريقة لكتابتها، ولكننا مع ذلك نقول لهما: لا، فنحن نفضل اللغة العربية.. وهم أحرار يفعلون ماشاءوا بالنسبة للغات البلاد غير المستقلة التى يحكمونها، اما نحن فى الصومال فإننا لانشاركهم وجهة نظرهم!

وقال زميله عبدالرازق حسين: إننى أعتقد أن عدم العناية بتعليم اللغة العربية فى مدارس الصومال يرجع الى اسباب سياسية. وقد اخترنا اللغة العربية لانها لغة ديننا، واللغة التى تتكلمها وتكتبها أغلبية الشعب الصومالى..

ومرة أخرى تكلم مندوب الهند فى صالح الشعب الصومالى. وقف مستر جاييال وقال: إن اللغة الصومالية مازالت لهجات متعددة وهى بذلك فى حالة تأخر لاتصلح معها لتكون وسيلة للتعليم فى المدارس، أو لان تؤدى الغرض المطلوب منها فى ادارة شئون دولة مستقله وهذه هى الاسباب التى دعت الصوماليين الى عدم التمسك بها فمن نكون نحن حتى ننازعهم فى ذلك؟ من نحن لنفرض عليهم وجهات نظر اكاديمية صرفة؟ ان الحقائق الجغرافية والتاريخية والدينية تشير كلها الى اللغة العربية على أنها افضل لغة للتعليم: وأهم من هذا أن الاهالى قد اختاروها، ويجب أن نحترم هذه الرغبة..

كان كمال الدين صلاح يراقب المعركة، ولكنه لايريد أن يشترك فيها.. ذلك انه من السهل اتهامه بأن مصر هى التى تريد فرض اللغة العربية فى الصومال، لانها لغة مصر. رغم أن هذا غير مقبول عقلا، فالصوماليون واقفون بأنفسهم فى ساحة الامم المتحدة يطلبون اللغة العربية، وليس لمصر فى الصومال نفوذ او سطوة عسكرية او اقتصادية او سياسية او حتى ادارية حتى يقال انها هى التى تضغط عليهم.

ولاحظ كمال الدين صلاح ان سوريا وسلفادور والهند تقف الى جانب اللغة العربية ولكن أغلبية الدول تقف ضدها: استراليا وبلجيكا ونيوزيلندا وانجلترا وفرنسا وامريكا، وروسيا.. ووجد كمال الدين صلاح أنه لابد أن يتدخل في المناقشة. وانه بعد كل هذه المناقشات الهامة حول اللغة يصبح من الطبيعي ان يتكلم فطلب الكلمة وقال فيها: إنني امتنعت عن التعرض لموضوع اللغة العربية خشية اتهامي بالتحيز للغتي القوميه. ولكن مادام الامر يثير اهتمام الوفود الى هذا الحد، فأرى من واجبي أن ألفت النظر الى نقطتين: الأولى هي انه يخيل الى ان الاعتقاد السائد في المجلس هو أن اللغة العربية لايعرفها الا سكان المدن الكبيرة، ولكني استطيع ان اؤكد من خبرتي واتصالي بالاهالي في جميع أنحاء الصومال أن اللغة العربية معروفة ومستعملة حتى في اقصى المناطق. والنقطة الثانية هي ان الصوماليين يشعرون بأن هناك ضغطا من جانب المجلس لفرض اللغة الصومالية عليهم.. وهي لغة غير مكتوبة. ولايفهم الصوماليون سر هذه الحماسة للغة هم انفسهم لايريدونها. والمسألة ليست مجرد التوصل الى اختراع شكل مكتوب لهذه اللغة.. انما الدولة المستقلة في حاجة الى لغة لها تاريخها وأدبها وعلومها وفلسفتها..

ثم روى كمال الدين صلاح للمجلس قصة طريفة ! قصة المدرسة اتي أنشأتها الادارة لتعليم اللغة الصومالية، فلم يلبث الطلبة أن هجروها تماما بعد بضعة أسابيع وأغلقت المدرسة أبوابها!.

ولم تصل لجنة الوصاية بالطبع الى قرار حاسم، منصف فحتى ذلك الوقت كانت القوى الاستعمارية متمكنة من السيطرة المطلقة لا على الهيئة العامة للامم المتحدة فقط كما يعرف الجميع، ولكن في اللجان التى لايلمع نشاطها أمام الجمهور عادة، ومن بينها لجنة الوصاية.

لم تصل لجنة الوصاية الى قرار. أما كمال الدين صلاح، وأما زعماء الصومال فقد عادوا الى مقديشيو بعد أن وصلوا إلى قرار، والى اقتناع جديد.

ان الأمر لايمكن ان يترك هكذا الى الاجراءات القانونية التى تلعب بها الدول الكبرى ذات المصالح اذا كانت الادارة الايطالية تعمل فى الخفاء لقتل اللغة العربية ومقاومتها، واذا كان الدكتور فرنكا يؤسس «جمعية لاتينية» يضم اليها الشباب الصومالى، ويغريهم بالمنافع، ليقاوم التيار المتجه الى اللغة العربية.. واذا كان مديرو التعليم فى الصوماليات

الثلاثة الانجليزى والايطالى والفرنسى يتزاورون ويتآمرون.. ثم يعود مدير التعليم الى الصومال الانجليزى فيفتح مدرسة لتعليم الصومالية بالحروف اللاتينية.. فلابد من القيام بمجهود مضاد للمحافظة على كيان شعب الصومال الحقيقى وتنفيذ رغبته الاجماعية لابد من الاتجاه الى دولة عربية تساعد بالمدرسين وبالمدارس وبالمناهج..

وكان الصوماليون قبل ذلك قد رأوا أن كل الدراسة فى مدارسهم باللغة الايطالية وان حصص اللغة العربية قليلة، فقاموا بإنشاء مدارس أهلية تتولى الاحزاب ادارتها والاشراف عليها، على أن تدرس فيها جميع المواد باللغة العربية.. فالآن لابد من التوسع فى هذه المدارس. ولابد من الاستعانة بمدرسين من خارج الصومال للتدريس فى هذه المدارس التى يتزاحم عليها ابناء الشعب الصومالى..

فأى دولة عربية، افريقية، يمكن الاتجاه اليها؟....

مصر.

نريد مدرسين مصريين يعلمون ابناءنا اللغة العربية والدين الاسلامى! نريد أن نرسل أبناءنا الى مصر، الى جامعاتها وازهرها لكى يعودوا أهلا لقيادة شعبهم فى الطريق السليم!..

هكذا قال زعماء الصومال لكمال الدين..

فبدأ يكتب الى وزارة التربية والتعليم فى مصر، والى المؤتمر الاسلامى والى الأزهر مطالبا بإرسال بعثة تعليمية مصرية تقوم بالتدريس باللغة العربية فى المدارس وبعثة أزهرية تقوم بتدريس الدين وتعليم الأهالى وعندما كان الزعيمان الصوماليان آدن عبدالله وعبدى نور مارين بمصر قابلا جمال عبدالناصر وطلبا منه انشاء مركز ثقافى مصرى فى مقديشيو وأرسل كمال الدين صلاح تفاصيل المركز الثقافى المطلوب انشاؤه مع مسجد وعيادة خارجية. وارسل مطالبا بإنشاء مدرسة ثانوية فى العاصمة قسم للبنين وقسم للبنات وقسم داخلى يتسع لأبناء الأقاليم حتى يتم أبنآء الصومال تعليمهم الثانوى فى بلادهم ثم يسافرون بعد ذلك الى جامعات الدول العربية الاخرى..

ووافقت مصر وافقت على ان تبدأ بإرسال بعثة من سبعة علماء الازهر وتسعة عشر مدرسا ومدرسة ولكن هل توافق الادارة الايطالية؟

كلا انها تقاوم فإذا عجزت عن المقاومة فإنها تتلكأ.

لقد ذهب أعضاء البعثة الى القنصلية الايطالية فى القاهرة يطلبون تأشيرة لدخول الصومال فقالت القنصلية ان هذه مسألة سياسية ولابد من انتصار البحث فيها!

وفى مقديشيو ذهب كمال الدين صلاح الى الوزير فرنكا ليسأله عن هذه الحكاية ويلفت نظره الى ان رفض دخول هذه البعثة تصرف غير سليم..

قال فرانكا: انه لابد من وقت طويل لبحث هذه المشكلة الكبيرة!

- مشكلة كبيرة: هل دخول هذه البعثة مشكلة كبيرة؟ ان كل اعضاء البعثة اشخاص محترمون والحكومة المصرية مسئولة عنهم.

- ان المسألة ليست مسألة اشخاص ولكنها مسألة مبدأ.

- اى مبدأ؟ اننى الفت نظركم الى ان اتفاقية الوصاية تنص صراحة على السماح لبعثات التبشير من جميع الاديان بحرية دخول البلاد على قدم المساواة وحرية اقامة أماكن العبادة والمستشفيات والمدارس.. وانا اعلم انه قد دخل الصومال منذ اسابيع مبشرون جدد لتعزيز بعثات التبشير الامريكية الموجودة من قبل فلماذا يمنع علماء الازهر والمدرسون المصريون؟ وماهو الاساس أو المبدأ الذى تستند اليه الادارة فى موقفها هذا؟

- اؤكد لك اننا لانقوم بأى تفرقة بين البعثات الاجنبية.

ورد كمال الدين صلاح قبل ان ينهض: أرجو أن أرى من التصرفات مايدل على ذلك.. فمجرد الاقوال والوعود الطيبة لاتكفى، ولا اقنع بها..

وعندما ذهب الى بيته، سجل فى مذكراته «لم اخرج من هذه المقابلة بأى وعد بالموافقة على دخول ابعثة المصرية الى الصومال ان السياسة التى يسير عليها الدكور فرانكا بسرعة واصرار هدفها الاول القضاء على الثقافة العربية والروح الإسلامية فى الصومال وفرض الصبغة اللاتينية عليه وفصله عن مجموعة الدول العربية والاسلامية».

وكان لابد ان يعلم الزعماء الصوماليون بهذا كله فذهب وفد منهم الى الدكتور فرانكا واحتجوا على ذلك فوعدهم بالبحث فى الأمر فى خلال اسبوع وبعد اسبوع ذهبوا اليه مرة أخرى فعاد الى المماطلة وقال السيد آدن عبداله زعيم حزب وحدة الشباب فى ذلك الوقت للدكتور فرانكا: انه اذا علم الشعب بأنكم تعرقلون قدوم بعثات التعليم المصرية فسيكون لذلك رد فعل سىء فالشعب يريد ان يتعلم اللغة العربية واتجاه الادارة الى التمسك باللغة الصومالية ومحاولة كتابتها بأحرف لاتينية لاتفيد الشعب اطلاقا وليس فى استطاعة

الإدارة ولا الدول أصحاب المستعمرات فى افريقيا التى تساند هذا المشروع ولا الامم المتحدة نفسها أن تفرض ذلك على الشعب الصومالى.

واستطرد آدن عبدالله قائلا: اننى لااحب ان اقول كلاما يؤول على انه تلويح بالتهديد ولكننا لن نسكت على تجاهل رغبات الشعب فى هذا الموضوع الحيوى.

وخرج الزعماء الصوماليون وقد اقتنعوا بأنه لابد من مكاشفة الشعب بالحقائق. فالدكتور فرانكا لن يقتنع بالحسنى، ولابد من ارغامه على قبول البعثة المصرية ارغاما!.

وبعد ان تكهرب الجو، وأصبح ينذر بالخطر.. وبعد ان لم يعد هناك اى مهرب قانونى ممكن التعلل به.. رضخ الدكتور فرانكا ودخلت البعثة المصرية..

هل دخلت البعثة المصرية لتتآمر؟ او لتثير احدا ضد احد؟ او لتتعدى حدود مهمتها التعليمية؟.

كلا ان كمال الدين صلاح يجمع البعثة فور وصولها وينبه على أعضائها كما سجل فى مذكراته «بأن يلتزموا حدود مهمتهم التعليمية وأن يكونوا أصدقاء الجميع وفى خدمة الجميع وأن يبتعدوا بعدا تاما عن التدخل فى الحياة السياسية للبلاد وأن يمتنعوا عن توجيه أى نقد للادارة الايطالية».

وفى المدارس التى تولى المصريون الاشراف عليها، طلب منهم كمال الدين صلاح أن يضعوا فى جدول الدراسة حصصا لتدريس اللغة الايطالية ولما اعترض زعماء الصومال على ذلك، كان كمال الدين صلاح هو الذى تولى اقناعهم بإدخال اللغة الايطالية ضمن البرامج!..

ولكن هذا لم يكن كافيا لتهدأ اعصاب الوزير فرانكا. فعقد فور وصول البعثة المصرية اجتماعا مع قنصل انجلترا، والمبشر الامريكى القسيس موورديكر، واعضاء الجمعية اللاتينية، للبحث فى وسائل شل حركة البعثة المصرية ان المسألة هنا مسألة طابع وشخصية وكيان فلا بأس أن يتفق المتنافسون وأن يلتقى على مائدة واحدة الحاكم الايطالى والسياسى الانجليزى والمبشر الامريكى!

وفى نفس الوقت كانت هناك معركة اخرى خفية حامية تدور حول اللغة والتعليم عاش فيها كمال الدين صلاح بأعصابه ونشاطه وهو فى مقديشيو رغم انها كانت تدور هنا فى القاهرة..

لقد سبق أن أوصت الأمم المتحدة الدول صاحبة الشأن أن تقدم منحا دراسية لابناء الصومال لكي يتعلموا خارج بلادهم، نظرا لحاجة البلاد الماسة الى حملة المؤهلات الفنية العالية. وقامت مصر فى هذا السبيل بواجبها فاستضافت فى بلادها مايقرب من مائتى طالب وطالبة من أهالى الصومال بين المدارس الثانوية والفنية والأزهر والجامعة.

وفجأة بدأت السفارة الايطالية فى القاهرة تنشط . بدأت تتصل بالطلبة الصوماليين الذين يدرسون فى القاهرة وتغريهم بشتى الوسائل لكى يتركوا دراستهم هنا ويسافروا الى ايطاليا او الى فرنسا.. كانت تستغل صغر سن هؤلاء الشباب لكى تغريهم بأى وسيلة ممكنة بالسفر الى اوروبا فالمهم ان يتركوا مصر ولو تركوها رغم أنف اهلهم فى الصومال وبغير علم منهم..

وعلم كمال الدين فى مقديشيو بما يجرى فى القاهرة علم بذلك من اباء هؤلاء الطلبة الذين جاءوا اليه فزعين من اغراء اولادهم بترك مصر. ومطالبين بأن يحاول الوقوف ضد ذلك.. وفى الاوراق المتناثرة والخطابات التى تركها كمال الدين صلاح خطاب يقول:

«السيد المحترم مندوب مصر فى المجلس الاستشارى بالصومال.. أنا والد الطالب الصومالى عبدالحميد محمد حسن أقدم الى سيادتكم طلبى هذا راجيا أن يكون موضع عنايتكم واهتمامكم كما عهدنا بكم دائما.

سيدى الوزير سمعت ان ابنى الذى كان يدرس فى مصر - كلية الحقوق جامعة القاهرة - قد سافر الى ايطاليا.. واننى أرى أنه اصبح فريسة لاغراءات بعض النفوس الشريرة الذين لايريدون له خيرا..

سيدى الوزير بعد تقديم اعتذارى لهذا التصرف الصبيانى من ابنى ارجو التمس من سيادتكم ان تسعى لدى المسئولين فى الحكومة المصرية.

١- الا تسمحج له بسحب اوراقه قطعا.

٢- أن يبقى اسمه فى كشوف الطلبة ويكون طالبا نظاميا حتى يتمكن من اداء الامتحان.

٣- أن يكون اعتذارى مقبولا وذلك لرغبتى الشديدة فى أن يكمل تعليمه فى مصر، وحتى لاتضيع كل مجهوداتى تلك السنوات الطويلة - الخمس - التى قضاها فى مصر كما اننى كأب أحرص على مستقبله ولن أسمح له أن يتعلم فى بلد لايعرف ثقافته ولايجد

الاخلاص والمحبة التى يجدها عند الاساتذة والشعب المصرى.

وأننى أتعهد أن أرجعه الى مصر، كما اتعهد انه لن يعمل مثل هذا التصرف الصبيانى بعدئذ، ولكم جزيل شكرى واحترامى.

والد الطالب

محمد حسن مرسى

١٩٥٦/١٢/٢٥

وتقدم آباء آخرون، يطلبون منه أن يعيد إلى الصومال أى واحد من أبنائهم يحاول أن يترك مصر الى اوروبا. حتى الطالبتان الوحيدتان فى مدرسة حلوان الثانوية، لم تفلتا من ضغط السفارة الايطالية واغرائها!..

ولم يكن هذا التصرف قاصرا على الطلبة الذين يدرسون فى مصر فليست المسألة مسألة مصر إنما هى مسألة الثقافة العربية واللغة العربية والروح العربية الاستقلالية فطاردت القنصلية الايطالية فى دمشق الستة عشر طالبا الذين كانوا هناك وحرضتهم حتى اعيدوا الى الصومال.. أو أرسلت بعضهم إلى أوروبا..

من هذا البعض الذى سافر الى السوربون طالب اسمه شريف عثمان لم يلبث بعد أن ذهب الى باريس أن اتصل بالطلبة العرب واشترك فى نشاطهم ضد الاستعمار ومن أجل حرية البلاد العربية فلم يصبروا على ذلك وطردوه من السوربون وأعادوه الى الصومال..

الى هذا الحد كانت الادارة الايطالية وحلفاؤها من الانجليز والفرنسيين حريصة على مطاردة اللغة العربية والثقافة العربية تريد بذلك أن تجعل الشعب الصومالى نباتا صغيرا ذابلا لافرعا مورقا فى شجرة ضخمة باسقة..

وقد انتقلت هذه الحرب على اللغة العربية والثقافة العربية الى مستوى اخر عندما انتخب أول برلمان صومالى وتألفت أول وزارة صومالية برئاسة السيد عبدالله عيسى إن حزب وحدة الشباب الذى ينص دستوره على ان اللغة الرسمية هى اللغة العربية هو الذى فاز بالاغلبية وهو الذى شكل الوزارة ومع ذلك فقد ضغطت الادارة الايطالية على الوزارة حتى يخلو بيانها الوزارى الأول أمام المجلس النيابى من أى اشارة الى اللغة العربية عند الحديث عن شئون التعليم مع ان موضوع اللغة كان دائما مثار اهتمام الشعب والجمعية التشريعية نفسها حين أوصت الوفد الصومالى المسافر الى نيويورك بأن يبلغ مجلس

الوصاية أن الشعب الصومالى يتمسك باللغة العربية..

ولم تفت هذه الملاحظة أعضاء الجمعية التشريعية فقام البارزون منهم الواحد بعد الاخر ينتقدون البيان الوزارى لخلوه من الاشاره الى جعل اللغة العربية لغة الصومال الرسمية تكلم فى ذلك النائب نور حاجى والنائب عبدالله مرسل والنائب أبشر فارج والنائب شيخ محمود عبدالله اسلام والنائب عبدى نور حسين وهم يمثلون أحزاب الحكومة والمعارضة على السواء.

وتلفت الانظار هنا الكلمة التى ألقاها النائب عبدالله مرسل وقال فيها: إن الاسلام دخل هذه البلاد بعد الهجرة بمائة عام (أى منذ ١٤٠٠ سنة) وإن اللغة العربية منتشرة من ذلك الحين واللغة الصومالية نفسها مشتقة من اللغة العربية وجميع الوثائق من ملكية وعقود وخلافه كانت مكتوبة بالعربية قبل مجى الايطاليين ولذا فإنه يعجب من الذين ينادون بإقصاء اللغة العربية وهذا الشعب اذا كان صوماليا فلا ضير فى ان يتخذ اللغة العربية لغة رسمية له وامثله ذلك كثيرة كالسودانيين والمصريين والمراكشيين والجزائريين ونفس الامر بالنسبة لشعوب امريكا اللاتينية التى اتخذت اللغة الاسبانية لغة رسمية رغم انها تتحدث بلهجات اخرى..

ولم يقتصر التيار على الجمعية التشريعية بل إن حزب وحدة الشباب حزب الحكومة قد ثار على موقف الحكومة الضعيف من هذه المسألة بل اعلن بعض سكرتيرى فروع الحزب فى الأقاليم «عدم رضائهم عن مسلك الحكومة وانها لاتسير فى الطريق الوطنى السليم، وان الشعب هو الذى اتى بالوزراء وهو يملك أن يخلعهم من مناصبهم».. وهدد اخرون بالانفصال عن الحزب وتأليف حزب جديد.. فأخذت الحكومة تعتذر عن ذلك، وتسترضى الثائرين!..

وكتب كمال الدين صلاح معلقا على هذه المعركة «... إن هدف عملاء الاستعمار الغربى من التمهيد لهذه الفكرة أن يصبح الجيل الجديد من الصوماليين بعيدا عن مصادر الثقافة العربية وبذلك يتم فصل الصومال عن الشعوب العربية فإذا ما تحقق ذلك انفردت به قوى الاستعمار لتنفيذ ماتشاء من خطط ومشاريع تخضعه لنفوذها واستغلالها وعندما يتلفت الشعب الصومالى للاستنجاد بالشعوب العربية يجد الهوة التى حفرها بنفسه والتى تفصل بينه وبينها عميقة واسعة يصعب اجتيازها وهدفهم ثانيا تأخير الشعب الصومالى ثقافيا

أطول مدة ممكنة لأن الجهل وضعف التعليم يوفران الجو المناسب الذى يعيش فيه التحكم والاستغلال الاستعمارى هادئا مطمئنا فمع التسليم بإمكان كتابة الصومالية باللاتينية الا أن عدم وجود الطبقة المثقفة الواعية بحكم القيود التى فرضها عهد الاستعمار الفاشيستى فى الماضى تجعل من المتعذر وجود المؤلفين من أبناء الصومال الذين لديهم القدرة على التفكير والتأليف وليس بين الاجانب من يحسن اللغة الصومالية بحيث يستطيع التأليف بها ويهذا يجد الصوماليون أنفسهم فى النهاية أمام الحقيقة المرة وهى انعدام المراجع والكتب اللازمة للمضى فى مراحل التعليم المتعددة»..

الدين.. فى خدمة البترول

قسيس ايطالى اسمه «فيلبينى»، يروح ويجئ فى انحاء الصومال، منذ خمس وعشرين سنة .إن مهمته الرسمية هى انه رئيس بعثات التبشير الكاثوليكية فى الصومال، ولكن الادارة لاتعامله معاملة قسيس عادى فهو يتمتع بالحصانة الدبلوماسية وبالاعفاءات الجمركية وسيارته الخاصة تحمل رقما من أرقام «الهيئة السياسية».

إن مهمة هذا القسيس سياسية فى الدرجة الاولى وكذلك مهمة كل بعثات التبشير!.

لقد تعود الشرق منذ زمن بعيد ان يكون شعاره الدين لله والوطن للجميع وأرض هذا الشرق هى التى أنبتت كل الاديان فكان من الطبيعى ان تآلف وجود الاديان المختلفة جنبا الى جنب ولم يعرف الشرق ابدا الحروب الدينية التى عرفتها اوروبا مثلا .لم يعرف الشرق الحروب الدينية الا على يد أوروبا التى كانت تبرر موجات غزوها للشرق باسباب دينية كما تفعل الان اسرائيل.

وفى إفريقيا بالذات، نجد أن الاستعمار لا يتورع عن استخدام الدين وجعله مطية لتحقيق أغراضه.

إن الشعب الصومالى شعب مسلم، منذ أكثر من ألف سنة. فإذا كان الغرب يحترم كل الأديان ويقدرها كما نحترمها ونقدرها نحن فى الشرق.. فلماذا يحاول أن يخرج هذا

الشعب عن دينه؟ أليس هذا- وحده- عدوان واستفزاز وإثارة للمشاكل؟...

فما بالنا إذا كان الأمر ليس قاصرا على الدعوة الدينية فقط؟.. ما بالنا إذا كان هذا التبشير الدينى يسير دائما فى ركاب الاستعمار، متلونا بلونه، متلائما مع ظروفه ، ملبيا لحاجته؟..

فى الأصل كانت أكثر البعثات التبشيرية فى الصومال بعثات بروتستانتية. فلما دخل الاستعمار الإيطالى، أخذ يطارد المبشرين البروتستنت ، حتى تخلص منهم، وأفسح المجال أمام المبشرين الإيطاليين.. الكاثوليك؟..

والآن.. منذ سنوات فقط.. أى نفوذ سياسى واقتصادى بدأ يجتاح العالم الغربى؟ على أنقاض النفوذ الاستعمارى القديم، إيطاليا أو فرنسيا أو إنجليزيا؟.. إنه النفوذ الأمريكى.. ومن أجل ذلك بدأ زحف المبشرين الأمريكيين- البروتستنت - يغزو الصومال.. دخلها مع النقطة الرابعة، وشركات التنقيب عن البترول، والخبراء؟.. وكانت هذه معركة أخرى، على كمال الدين صلاح أن يواجهها.. عندما ذهب أول الأمر، كانت السطوة ما تزال فى يد بعثات التبشير الإيطالية. كان «فيلبينى» الذى يقيم فى الصومال منذ ٢٥ سنة حتى عرف لغة البلاد وأهلها وعاداتها وتقاليدها، هو النجم اللامع والأب الروحى للتبشير.. وكان «إدموندو» هو ابن التبشيروتلميذه البكر..

إن «إدموندو» ليس إيطاليا، ولكنه صومالى. صومالى مسلم فى الأصل، اسمه محمد شيخ عثمان، ولكنه دخل منذ كان صبيا فى مدارس التبشير، وارتد عن الإسلام، ولكنه عندما كبر ودخل الحياة العامة ترك المسيحية وعاد أدراجه إلى الإسلام.. ولكنه ظل أمام الناس- وأمام نفسه- بغير دين، وبغير اسم.

والإدارة الإيطالية تهتم بأن تمنح خريجى مدارسها التبشيرية أحسن المناصب، وأكبر المرتبات ، حتى يظهروا متفوقين على أهلهم وأقرانهم الباقين على الإسلام، أملا فى أن يكون فى هذا دعاية كافية للتبشير.

أما «إدموندو» الابن البكر للتبشير، فقد أسست الإدارة له حزبا اسمه الحزب الديمقراطى، وعينته سكرتيرا عاماً له، وأرسلته إلى روما ليتمرن فى وزارة الخارجية الإيطالية..فمن يدرى؟ لعله يكون فى المستقبل وزيراً، أو سفيراً، فلا ينسى أن يظل عميلا لأرباب نعمته: إنه نموذج حى فريد، من نماذج الأشخاص الذين يصنعهم الاستعمار..

فبعد أن يسلبهم كل مقومات الشخصية السليمة، فى التاريخ والكيان والبناء النفسى، يدفعهم إلى المراكز العليا والمسئوليات، لأنه يعرف أن لا خطر منهم قط ، بعد أن انتزع منهم كل صفات الشخصية والاستقلال!...

ولكن حركة التبشير الإيطالية لم تلبث أن بدت ضعيفة، خائرة، إزاء الغزو البروتستنتى الجديد، الآتى مع الأمريكان..

لقد وصلت إلى الصومال بعثتان على التوالى: الأولى بعثة somalia mInnonite mission يرأسها قسيسى بروتستنتى اسمه ويلبرت لند. والثانية برئاسة قسيس آخراسمه «موورديكر».

وقد بدأت كل بعثة بإقامة مركز تعليمى لدراسة اللغة الإنجليزية والدين. وبدأ رئيسا البعثتين يهاجمان الدين الإسلامى والمعتقدات الإسلامية علنا. وبسرعة تحسد عليها البعثتان، بدأتا تتدخلان فى القضايا المحلية. والسياسية، وفى مقدمتها: قضية اللغة.

أصبحت كل من البعثتين مركزاً للحملة على اللغة العربية وثقافتها وتراثها، ومركزا للدعوة الاستعمارية السياسية إلى كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية، بل إن القسيس موورديكر، أعلن أنه لن يقبل فى مدرسته من يتعلم اللغة العربية.. حتى إن بعض الشبان الراغبين فى دخول مدرسة التبشير لمجرد دراسة اللغة الإنجليزية، كانوا يخفون دراستهم اللغة العربية حتى لا يتعرضون للطرد!..

وفى خارج العاصمة، أحضر موورديكر أسطوانات تتكلم باللغات العربية والصومالية والإنجليزية ، داعية الأهالى إلى ترك الدين الإسلامى واعتناق المسيحية.. فكان الأهالى فى بعض المناطق يتركونها تصرخ، وفى مناطق أخرى كانوا يقذفونها بالحجارة ويطردونها من قراهم.. وأراد المبشرون الأمريكيون- بعد أن استقروا فى العاصمة- أن يبسطوا نشاطهم فى سائر أنحاء الصومال، فبدأوا يطلبون أرضا فى قرية مهدايا، على بعد مائة كيلو متر من العاصمة. ولكن الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الإسلامية ذهب إلى هذه القرية ، وخطب فى أهالى القرية.. فلما ذهب المبشر إلى القرية فى الأسبوع التالى طرده أهلها..

ولم ييأس المبشرون. لقد عدلوا مؤقتا عن فكرة الاستقرار فى أرض يملكها الأهالى، واتجهوا إلى قرية جوهر حيث تملك شركة s.a.i.s الإيطالية مساحات واسعة من الأراضى الزراعية ، مما قد يغنيهم عن الحصول على موافقة الأهالى. ولكن الشريف محمود عبد

الرحمن ذهب أيضا إلى مقابلة رئيس الشركة، ومعه وفد من ممثلى الأحزاب السياسية.

قالوا لمديرالشركة: إن شركتكم قد أنشئت لأغراض تجارية وهذا مانرحب به دائما. ونحن نتمنى للشركة أن تزدهر ويتضاعف نشاطها، كما أننا حريصون على تقديم كل الضمانات التى تشجع رؤوس الأموال الأجنبية على العمل فى الصومال. كل هذا بشرط أن تبقى الشركة تجارية فقط. أما إذا بدأت الشركة تحيد عن أغراضها التجارية، وتتدخل فى أمورتتصل بالعقيدة الدينية، فسوف تكون لهذا عواقب وخيمة.

وقال المدير أنه يوافق على رأى الوفد الصومالى. وأنه يعدهم بذلك . وخاب للمرة الثانية سعى المبشرين.

فى هذه الأثناء كان زعماء الصومال لا ينقطعون عن مطالبة كمال الدين صلاح بتزويد الصومال بالمزيد من المدرسين، من علماء الأزهر.. ليكونوا بمثابة خط دفاع عن التكوين الروحي والنفسي والعقيدى والحضارى للأهالى ضد موجات الغزو الساحقة. وفى نفس الوقت كان مورديكر كبير المبشرين الأمريكيين لا يفتأ يضغط على الإدارة الإيطالية، ثم على الوزارة الصومالية بعد أن تكونت، مطالبا بمنحه تسهيلات الأراضى وغيرها. كان يضغط ،ومن ورائه قوة المال ونفوذ أمريكا على إيطاليا، ونفوذها فى الحبشة..

وبعد تمهيدات كثيرة، طلب مورديكر منح البعثات التبشيرية الأمريكية أراض واسعة فى مناطق مختلفة: لكى تقام فيها مراكز للتبشير ولإقامة حقول زراعية نموذجية لتدريب الأهالى على الزراعة. اشترت البعثات كثيرا من الناس فى المناطق المطلوبة لكى يبدو وكأن الأهالى يوافقون على ذلك. ولم يبق إلا أن توافق الجمعية التشريعية أيضاً، طبقا لاتفاقية الوصاية.

وعرضت الحكومة ا لطلب على الجمعية التشريعية طالبة الموافقة عليه وتحدث «إدموندو» أومحمد شيخ عثمان فى الجمعية التشريعية قائلا إن رفض هذاالطلب ينافى اتفاقية الوصاية التى تنص على حرية دخول المبشرين من جميع الأديان وممارستهم لنشاطهم فى الصومال.

وقال إن بعثات التبشير تقدم خدمات جليلة للبلاد، وإنه هو شخصيا ثمرة من ثمرات الجهود التى تبذلها بعثات التبشير..

ولوشاء «إدموندو» الذى حمل اسمين، وغير دينه مرتين، أن يقدم نموذجا سيئاً لجهود

التبشير، لما قدم سوى نفسه! ولو كانت هذه البعثات بريئة من الأغراض لعرفت كيف تفصل بين المساعدات الفنية التى تبذلها للأهالى وبين تغيير عقيدتهم. ولكنها تقرن هذا بذلك. وتجعلهما شيئين متلازمين، تريد بذلك لا أن تشترى جهود الصوماليين، بل أن تشترى أرواحهم ، ونفسياتهم. إلى أعمق أعماقها!..

ولكن نواب الحكومة والمعارضة على السواء هاجمواالطلب بشدة، فاضطرت الحكومة إلى سحبه من الجمعية التشريعية!..

كان كمال الدين صلاح، من خلال التجارب والأحداث، قد أصبح موضع ثقة الصوماليين ومرجعا لهم، فلم يكن غريبا أن يرجعوا إليه فى هذه المشكلة. وأن يسألوه رأيه فى نشاط بعثات التبشير، وفى تفسير تلك المادة من اتفاقية الوصاية التى تنص على حرية دخول بعثات التبشير ومباشرة نشاطها فى البلاد..

وفى اجتماع بنواب الصومال، قال كمال الدين صلاح لهم :«إن تطبيق هذه المادة معلق بشرطين: الأول أن لا يكن فى ذلك ما يخشى منه على الأمن، والثانى أن لا يكون فيه عدوان على معنويات الشعب.. وقيام المبشرين بالطعن فى الإسلام بين شعب دينه الإسلام، هو عدوان على معنويات الشعب، كما أنه أمر يهدد الأمن، إذ قد يؤدى إلى شر كبير إذا حدث اعتداء على هؤلاء المبشرين من بعض المتعصبين الغاضبين لدينهم.

«ورأيى الشخصى فى تفسير هذه المادة هو أنه إنما أريد بها أن لا يترك الأمر للإدارة الوصية، فتقصر حق الدخول على البعثات الكاثوليكية كما كان الحال فى الماضى.وإن نشاط البعثات وحريتها فى العمل إنما هو منصب على اتباع مذهبها وليس على تنصيرالمسلمين. فليس من حق أحد، ولا الأمم المتحدة نفسها،أن تفرض على شعب ما أن يقبل الاعتداء عليه فى عقيدته الدينية، ويرضى بذلك، فى سبيل التسامح الدينى!».

وبعد ذلك بأيام، كانت الإدارة تتهم كمال الدين صلاح بأنه تدخل فى شئون البلاد الداخلية وتجاوز حدود مهمته، بتصريحاته هذه للنواب،وبتحريضه الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الإسلامية على مهاجمة المشروع بعد خطبة الجمعة، مع أن فى منح المبشرين أراض زراعية واسعة فائدة محققة للبلاد..

ورد كمال الدين صلاح قائلا:

إننى غير مسئول عما قاله الشريف محمود عبد الرحمن. ولست ممن يدفعون الناس

إلى الكلام ويستترون خلفهم ، فأنا دائما أقول بنفسى ما أرى من واجبى قوله، فى حدود اختصاصى، وأتحمل مسئوليته.. أما حديثى مع النواب فليس سرا. وقد كان حاضرا أكثر من عشرين من نواب مختلف الأحزاب وفى مقدمتها حزب الحكومة. وأنا لم أهاجم الحكومة أو حتى أنتقدها، ولم أحرضهم على خذلانها. ولكننى فسرت لهم مواد اتفاقية الوصاية، مما يعد فى صميم عملى وواجباتى. وأنا أمارس عملى فى الصومال بمقتضى هذه الاتفاقية، فإذا أثيرت إشكالات حول بعض موادها، فأنا من أول الناس الذين يحق لهم التصدى لتفسيرها.

ولم يسكت مورديكر. فبعد أن تعذر عليه شراء الأرض بدأ يستأجرها، ويقيم المبانى التى تحتاج إليها بعثات التبشير. وبدأ يدفع فى الإيجار وما إلى ذلك مبالغ هائلة لم تعرفها الصومال قبل ذلك فقط.

وكتب كمال الدين صلاح يسجل ملاحظتين هامتين:

الأولى: أن كل بعثات التبشير. والشركات والهيئات الأمريكية التى تعمل فى الصومال تخضع لإشراف ورئاسة سفير الولايات المتحدة فى العاصمة الحبشية أديس أبابا، التى تعتبر الآن نقطة الارتكاز الأولى لأمريكا فى قلب إفريقيا. وأن سفيرالولايات المتحدة فى أديس أبابا كان فى الأصل قسيسا من رجال التبشير.

والثانية: أن كل البلاد التى اختارتها بعثات التبشير لممارسة نشاطها تتركز فى منطقة معينة..منطقة تنقب فيها الشركات الأمريكية للبترول!

فإلى هذا الحد يبدو الموقف بجلاء: إن بعثات التبشير لا تبتغى هنا وجه الله !إنها تعمل عملا متناسقا مع خبراء النقطة الرابعة ، ومندوبى شركات البترول!..

بقشيش.. للجيش

فى أحد أيام اكتوبر ١٩٥٤، كتب الأستاذكمال الدين صلاح خطابا إلى مصر يقول فيه:

السيد المحترم وكيل وزارة الخارجية..

توجه الأستاذ عقيل سليم السكرتير الثالث بمكتب مصر ، مساء يوم الاثنين الماضى ومعه حاجب المكتب إلى مصلحة البريد بمدينة مقديشيو لاستلام البريد الرسمى الوارد من الوزارة. وبعد أن تسلمه طلب استلام خطاب مسجل باسمه شخصيا، فأجابه موظف البريد قائلا: «أنت مسلم، وعليك التوجه إلى الشباك الخاص بالأهالى لاستلام خطابك منه». وأشار بيده إشارة مهينة إلى طريق هذا الشباك، وهو يقع خارج المكتب الذى تسلم منه البريد الرسمى. وهذا المكتب مخصص للأجانب فقط، وبعبارة أصح للإيطاليين، لأن الأجانب غير الإيطاليين فى مقديشيو قليلون.

وقد أبدى الأستاذ عقيل استياءه من هذه المعاملة.وتوجه بالكلام إلى رئيس مكتب البريد وطلب استلام الخطاب الخاص به ولما أصر على أن لا يبرح المكان حتى يتسلم خطابه ، سلموه الخطاب بعد مناقشة قصيرة. وعاد الأستاذ عقيل بعد ذلك مباشرة لمقابلتى وسرد لى تفاصيل الحادث.

وبعد يومين توجهت بنفسى إلى مكتب البريد. وتحقق لدى أنه قد خصصت نافذة ذات قضبان حديدية تقع فى نهاية الشرفة التى تحيط ببناء مكتب البريد. وسألت الموظف الجالس خلفها وهو صومالى، فقال لى إن هذا المكان مخصص لبريد الأهالى.

وقد علمت من بعض الصوماليين أن أحدالمستشارين فى المجلس الإقليمى- وهوما يقوم مقام الهيئة النيابية حاليا- سبق أن أثار أمر هذه المعاملة المهينة لأهالى البلاد.

وقد رأيت من واجبى أن لا أدع هذاالحادث يمردون لفت نظرالإدارة الإيطالية إلى مافى هذه المعاملة من تمييز دينى وعنصرى بين طوائف الناس. وأن ذلك يخالف مبادئ ميثاق الأمم المتحدة كمايخالف نصوص اتفاقية الوصايا التى عهد بمقتضاها إلى إيطاليا فى إدارة الصومال حتى سنة ١٩٦٠.

ممثل مصر فى المجلس الاستشارى للأمم للصومال

كمال الدين صلاح

قد يبدو هذا الحادث بسيطا فى ظاهرة. ولكنه ليس بسيطا فى مغزاه على الإطلاق. إن الاستعماركمايريد أن يجرد الشعب الرازح تحته من دينه وشخصيته وذاتيته، يريد أيضا أن يسلب منه كرامته. يريد أن يربيه تربية خانعة تقنعه أنه جنس أقل فى مستواه من جنس الدولة المستعمرة .مظهر بسيط كهذا: شباك بريد للأجانب وشباك آخر فى الطريق للوطنيين، كاف لكى يشعر الصومالى أنه ذليل فى بلده. وأنه أقل فى طبيعته من مستوى الأجناس الأخرى الأوروبية.

ومن أجل هذا المغزى العميق، قرر كمال الدين صلاح أن يخوض معركة من أجل هذاالحادث الصغير..

لقد طلب عقد المجلس الاستشارى للأمم المتحدة. وكان رئيسه فى تلك الدورة هو مندوب الفلبين. وأعطى الرئيس الكلمة لكمال الدين صلاح الذى تكلم قائلا:

إنه لايخطر على البال أن يكون هناك أى تميز عنصرى فى بلد تحت الوصاية،تهيئه الأمم المتحدة للحصول على استقلاله بعد بضع سنوات. وإننى أعتقد أنه يجب على الإدارة الوصية التى عهدت إليها الأمم المتحدة بهذه المهمة، أن تلحظ أولا وقبل كل شىء وجوب تطبيق المبادئ الرئيسية لميثاق الأمم المتحدة فى هذه البلاد.

وقال رئيس المجلس: إنه يتفق مع مندوب مصر فى أن أى تمييز من أى نوع، يعتبر

مخالفة لنص وروح ميثاق الأمم المتحدة واتفاقية الوصاية نفسها، وإن كل نظام فيه تمييز يجب إلغاؤه.

وذهب رئيس المجلس ليقابل الحاكم الإدارى ويبلغه قرار المجلس وخرج من لدى الحاكم الإدارى، وقد اشتعل هذا الأخير بالغضب.. ودعا الحاكم الإدارى مندوب مصر لمقابلته. وقال الحاكم الإدارى له إن وجود مكتب بريد مستقل للوطنيين ليس تمييزا عنصريا، غاية ما فى الأمر أن البريد يخصص شباكا للبريد باللغة اللاتينية وشباكا للبريد الوارد باللغة العربية، من باب التسهيل على الموظفين.

ورد كمال الدين صلاح عليه بأن هذا غير صحيح. فخطاب الأستاذ عقيل سليم كان مكتوبا بالحروف اللاتينية.. والتمييز الدينى والعنصرى واضح: فالمكان المخصص للأجانب مكتب فسيح نظيف منظم، أما المخصص للأهالى فنافذة تقع فى نهاية الشرفة المطلة على الطريق العام. وهى ليست مخصصة للمراسلات المكتوبة باللغة العربية، بل إنها مخصصة للصوماليين والباكستانيين والعرب والهنود حتى ولو كانت رسائلهم مكتوبة بلغة إنجليزية أو فرنسية..

وكان كمال الدين صلاح قد أحضر مجموعة من هذه الخطابات، برهانا على ما يقول!..

وأحرج الحاكم العام وثار ثورة عارمة عندما هدده كمال الدين صلاح بإبلاغ الأمر إلى وزارة الخارجية المصرية إذا لم يتغير هذا الوضع..

وصاح الحاكم العام وهو يدق بيده على مكتبه: وأنا أيضاً سأحتج لدى حكومتى على مسلكك ودفعك المجلس الاستشارى للأمم المتحدة إلى التدخل فى أمور ليست من اختصاصه!

كان الحاكم محرجا. فهو لا يريد أن يتنازل عن كبريائه فى غير نظام البريد إجابة لطلب مندوب مصر. وهو لا يريد أن يكون مندوب مصر هو المدافع عن كرامة شعب الصومال والمطالب بمساواته مع سائر الشعوب. وهو فى نفس الوقت يشعر بضعف موقفه الذى ضبطه فيه مندوب مصر متلبسا بخرق ميثاق الأمم المتحدة خرقا صريحا.

واستمرت المعركة ، وكمال الدين صلاح صامد فى مكانه فى لجنة الأمم المتحدة يصمم على تغيير النظام، حتى عثرت الإدارة الإيطالية على المخرج المنشود: أن تنتهى فرصة سفر الحاكم العام بالإجازة فتغير نظام البريد، فلا يكون الحاكم العام هو الذى غير رأيه ورضخ..

بذلك أبلغ الوزير اسبينللى سكرتير عام الإدارة كمال الدين صلاح، واعتبرت الأزمة منتهية..

***

حادث بسيط كما قلت. ولكنه يلقى الضوء على عقلية الاستعمار. إنه حتى فى الأمور الصغيرة– يهتم بأن يبقى الشعوب المستعمرة فى حالة من التخلف النفسى والانكسار.. حالة من المذلة أساسها أنهم جنس أقل من الجنس الغازى المحتل..

صورة أخرى من صورهذاالأسلوب ، نجدها فى قصة «البقشيش» الغريبة، التى شهدها كمال الدين صلاح..

كان ذلك عندما دعاه الحاكم العام الإيطالى ليصحبه فى جولة فى أنحاء الصومال. وركب كمال الدين صلاح الطائرة مع الحاكم العام وحاشيته.. وقبيل وصول الطائرة إلى بلدة بلدوين بحوالى عشرين دقيقة همس السكرتيرالخاص للحاكم فى أذن كمال الدين يرجوه أن ينسحب من المقصورة ليتمكن الحاكم من تغيير ملابسه. ولما عاد بعد ذلك إلى المقصورة وجده واقفا فى وسطها يرتدى زيا عسكريا من التيل الأبيض موشى بالذهب ويمسك بيسراه سيفا مدلى من حمائله، وعلى رأسه قبعة عليها شريط أحمر موشى بالذهب، كتلك التى يضعها كبا رالقواد العسكريين، إنه الزى العجيب الذى سبق أن تهكم عليه مندوب كولومبيا فى مجلس الوصاية، وقال إن الحاكم العام صممه لنفسه بنفسه تقليدا لزى المارشال تيتو ،إذ كان قبل ذلك وزيرا مفوضا لبلاده فى يوغوسلافيا !!

وعندما هبطت الطائرة نزل منها الحاكم العام، وتبعه قائد القوات المسلحة، واستعرض حرس الشرف وجوقة الموسيقى التى كانت فى الانتظار ، ثم توجه الجميع إلى معسكر القوات المسلحة، حيث قامت القوات باستعراض، ثم رقى اثنين من الصوماليين إلى رتبة ملازم ثان. وبعد ذلك طلب الكولونيل ماسيولى بصوت مسموع من سكرتير الحاكم أن يعطيه «البقشيش» فأعطاه مظروفا مغلقا.وعند ذلك وقف الحاكم فى وسط المنصة وإلى يمينه الكولونيل ما سيولى وفى يده المظروف يلوح به.وصاح بصوت عال موجهاالكلام إلى الجنود «إن صاحب السعادة قد سر غاية السرور من هذا الاستعراض، وقد تبرع بمبلغ خمسمائة صومالى (حوالى ٢٥ جنيهاً مصرياً) منحة لكم» فتقدم الضابط الصومالى الذى رقى منذ دقائق، يركض مسرعا نحوالمنصة فأدى التحية العسكرية واستلم البقشيش، ثم

أدى التحية العسكرية مرة أخرى وعاد ركضا إلى مكانه الأول.. كل هذا حدث وجموع الشعب المحتشدة حول الاستعراض ترى وتسمع!

تأملوا هذه الصورة جيدا.. وضعوها إلى جانب الصورة السابقة، صورة التفرقة فى مكتب البريد: الحاكم الإيطالى، يلبس ثيابا مزركشة مزخرفة مذهبة. إنه ليس وحده فى هذا، فمن السهل أن نلاحظ أن الحاكم العام الأجنبى فى آسيا أو إفريقيا كان دائما يلبس ثيابا مزخرفة مزركشة مذهبة، لا يمكن أن يلبسها فى بلده الأوروبى، وذلك لإلقاء الوهم فى نفوس الإفريقيين.. ثم إذلال الضباط والجنود بإعطائهم «البقشيش» الذى لا يعطى إلا للخدم والتابعين، على هذه الصورة المهينة..

ومرة أخرى رأى كمال الدين صلاح أن هذا خرق خطير لمبادئ الأمم المتحدة ولأهداف الوصاية. ومرة أخرى قرر طرح المسألة على المجلس الاستشارى للأمم المتحدة لاتخاذ قرار فيها.

وانعقدت الجلسة وروى كمال الدين صلاح مارآه، وما عرفه من تقليد منح البقشيش على هذا النحو إلى القوات المسلحة على مرأى من الشعب.وقال لأعضاء المجلس إن هذا التصرف خرق خطير لروح اتفاقية الوصاية ونصها وما تهدف إليه من تهيئة هذا الشعب للاستقلال سياسيا، وما فى ذلك من إهانة لكرامة الضباط والجنود.

وافق مندوب كولومبيا بحماسة على هذا الكلام. أما العضو الثالث، وهو مندوب الفلبين فقد تردد قيلا. وقال إنه ربما كانت هذه العادة متبعة فى بعض البلاد.. فأكد له كمال الدين صلاح أنها غير متبعة فى أى بلد. واستشهد بسكرتير المجلس، وهو ضابط فرنسى سابق وعمل كثيراً فى المستعمرات، فقال الضابط السابق إن هذه العادة غير موجودة فى أى جيش من جيوش العالم..

واتفق المجلس على استنكار هذا التصرف..

على أن المجلس عندما انعقد فى الجلسة التالية، كانت هناك أمور قد حدثت فى الخفاء. فقد قال سكرتير المجلس إن هناك رغبة فى تغيير محضر الجلسة السابقة. وأيد مندوب كولومبيا هذا الطلب وتردد مندوب الفلبين مرة أخرى. إذا فالحاكم العام والإدارة الإيطالية قد قاما بضغط عنيف لدى الأعضاء، ولدى الحكومات، لكى ترفع هذه الحكاية من محضر الجلسة، ولكى ينفض مجلس الأمم المتحدة يده من هذه التصرفات..

وفى هذه المرة، سجل كمال الدين صلاح فى محضر الجلسة كلاما عنيفا:

إذا، فما هى نوع النصيحة أو المساعدة التى يقدمها المجلس لإعداد هذا الشعب للاستقلال، إذا لم ينصح بأن سياسة منح البقشيش علنا لأفراد الهيئات الحكومية أمر لا يتفق مع أهداف الوصاية؟.. إن هذا التصرف بضعف معنويات الشعب، ويتنافى مع الكرامة والاعتداد بالنفس الواجب توفرهما لشعب نعمل على تهيئته للاستقلال. إنه ليؤسفنى حقا أن يسجل هذافى محضر الجلسة. وإننى أود أن ألفت نظر زملائى إلى أننا سوف نغادر هذه البلاد بعد زمن قصير أو طويل، ولكن مثل هذا التصرف سيترك أثرامستمرا فى تكوين الشعب وإعداده لكى يحكم نفسه بنفسه.

ورفعت الجلسة بلا نتيجة. ولكن كمال الدين صلاح ذهب إلى نائب الحاكم العام- وكان الحاكم العام قد سافر فى الإجازة- الوزير اسبينللى. وشرح له رأيه فى حكاية البقشيش فوافقه الوزير اسبينللى الذى كان يمثل عقلية أكثرتقدما وتحررا من الحاكم العام، وافقه على رأيه، ووعده بتغيير هذه العادة.. وفى أول جلسة لمجلس الأمم المتحدة، سجل كمال الدين صلاح أنه بوصفه مندوب مصر فى المجلس الاستشارى قد قابل الوزير اسبينللى وحصل منه على وعد بإلغاء عادة إعطاء البقشيش، وأن هناك طرقا أخرى أشرف وأكرم فى مكافأة موظفى الدولة وأفراد قواتها المسلحة!..

أحزاب.. لا قبائل

فى أثناء استعمار إيطاليا الفاشستية للصومال، كان تكوين الأحزاب ممنوعا فلما خرجت القوات الإيطالية من الصومال خلال الحرب العالمية الأخيرة ، وجاء الاحتلال الإنجليزى، سمح الإنجليز للصوماليين بتكوين الأحزاب السياسية لأول مرة.... فلما عادت إيطاليا سنة ١٩٥٠ لكى تكون وصية على الصومال مدة عشر سنوات، وجدت هذه الأحزاب قد تكونت، وأغلبها معاد لها، فبدأت الإدارة الإيطالية تحاول تكوين أحزاب أخرى موالية لها، تقاوم بها هذا الأحزاب.. حتى بلغ عدد الأحزاب الموجودة فى الصومال أربعة عشر حزباً..

وأكبر الأحزاب الأصلية فى الصومال ثلاثة: أولها حزب وحدة الشباب الصومالى، وهو أكبر الأحزاب وأقواها وأكثرها تنظيماً، ونفوذه منتشر فى أنحاء الصومال كلها، ويليه حزب دغل ومر يفله، وهو حزب يعتمد فى نفوذه على القبيلة الكبيرة التى تحمل هذا الاسم، ثم حزب شباب بنادر، ونفوذه قاصر على المدن ، كما هو واضح من اسمه إذ أن كلمة «بنادر» هى نفس الكلمة العربية التى هى جمع «بندر» أى عاصمة الإقليم..

وبالنسبة لموقف الإدارة الإيطالية من الأحزاب، نجد أيضا نفس الخلاف فى داخل الإدارة، فهناك اتجاه متطور يمثله الوزير اسبينللى ثم الحاكم الإدارى العام الوزير

«انزيلوتي» وهو يعترف بهذه الأحزاب ولا يكاد يعترف بسواها. واتجاه آخر أكثر نشاطا وإلحاحاً، يمثله الدكتور فرانكا، رجل وزارة المستعمرات الفاشستية القديم. كان الدكتور فرانكا ينفذ سياسة بالغة الخطورة تريد تقسيم البلاد لاعلى أساس الأحزاب، بل على أساس القبائل، كان مثلا يحرص على إذ كاء روح المنافسات والخصومات بين القبائل، فبذلك تظل الإدارة فى مركز ممتاز، إذ تستطيع أن تضرب هذه القبيلة بتلك ، أو تميز قبيلة لتكيد قبيلة أخرى .كذلك فإنه عمد إلى تأليف أحزاب صغيرة علي أساس قبلية ، كل حزب يمثل قبيلة، وكان يغذيها بالمال والتوجيه، ليخدم نفس الغرض ،وليمزق وحدة الش على أسس قبلية، عب الصومالى..

هذه السياسة التدميرية لا يخفى أثرها على مستقبل الشعب الصومالى ، فالنعرة القبلية من أتعس النعرات التي تؤخر نضج الشعوب ونموها، ورجل الاستعمار القديم يعرف أن رسالة الاستعمار الأولى هى العمل على تأخير المجتمعات المستعمرة ماديا ومعنويا ، لا العمل على تقدمها، فالدكتور فرانكا بهذه السياسة كان يدمر رسالة الأمم المتحدة، ورسالة الوصاية، التى تقوم على دفع المجتمع الصومالى إلى الأمام..

وعندما اقترب موعد اجراء أول انتخابات لأول مجلس نيابى فى الصومال، وهو الجمعية التشريعية بدأ الدكتور فرانكا يتم خطته لتمزيق البلاد قبليا، ولتوجيه ضربة ساحقة إلى نظام الأحزاب بالمعنى الحديث.. فأعد قانونا للانتخاب يعطى أغلبية المقاعد للقبائل، ويجعل الانتخاب على درجتين، بحيث يتم الانتخاب فى المرحلة الأولى على أساس قبلى محض، فالناخبون يختارون شيوخ قبائلهم فى أول درجة وشيوخ القبائل ينتخبون النواب فى ثانى درجة.

ومرة أخرى يقف كمال الدين صلاح عقبة فى طريق رجل الاستعمار الفاشستى القديم، فهو ينتهز فرصة انعقاد الدورة الرابعة عشرة لمجلس الوصاية ويثير هذه المسألة ويطالب بأن تكون الانتخابات كلها على درجة واحدة. وإذا تعذر هذا فى بعض المناطق القليلة النائية فلتكن الانتخابات على درجتين فى هذه المناطق فقط. ووافق مجلس الوصاية على هذاا لرأى وأصدر قرارا يوصى فيه بأن تعمل الإدارة على تعميم الانتخاب المباشر فى جميع البلاد، بأسرع وقت ممكن.

وتحركت الأحزاب للعمل، ودارت اتصالات ومفاوضات متصلة بين الإدارة والأحزاب،

حتى استقر الرأى على تكوين الجمعية التشريعية من سبعين عضوا.. عشرة يمثلون الأقليات الأجنبية (العرب والإيطاليون والباكستانيون والهنود) وستون يمثلون السكان الأصليين. وكان الحل أن تتم الانتخابات فى المدن على درجة واحدة وفى الأقاليم على درجتين بشرط أن يكون التمثيل على أساس عدد الأفراد لا عدد القبائل..

وفى فبراير ١٩٥٦ أجريت الانتخابات. وكانت الأحزاب قد دخلت المعركة أول الأمر بلا برامج، ولكن حزب وحدة الشباب أسرع فنشرأول برنامج انتخابى، نص فيه على الأهداف الآتية:

١- تحريرجميع الصوماليين في الوطن الصومالى الكبير.

٢- الدين الإسلامى هو دين الدولة الرسمى.

٣- تأييد قيام جبهة وطنية مع سائر الأحزاب

٤- الصومال جزء من العالم العربى والإسلامى.

٥- اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة وهى لغة التعليم فى المداس..

وقد بذل الدكتور فرنكا مجهودا كبيرا فى محاربة حزب وحدة الشباب بالذات، لأنه كان يتوقع أن يكون حزب الأغلبية، فأراد أن لا يكون هناك حزب واحد يتمتع بأغلبية حاسمة،حتى يظل أمامه مجال المضاربة بين الأحزاب مفتوحا..

ولكن حزب وحدة الشباب، خصوصا بعدأن أعلن برنامجه، اكتسح المعركة ففاز بثلاثة وأربعين مقعدا من الستين مقعدا التى تنافست عليها الأحزاب.. وفاز حزب دجل ومرفلة بثلاثة عشر مقعداً، والحزب الديمقراطى الذى ترعاه الإدارة الإيطالية بثلاثة مقاعد.. وأحزاب أخرى فازت بمقعد واحد.

هكذا تم تكوين أول مجلس نيابى فى الصومال. ولم تفلح محاولات الإدارة الإيطالية فى صبغه بالصبغة القبلية المتأخرة، ولم تفلح فى قهر حزب وحدة الشباب الصومالى بالذات. أما الأحزاب التى خلقتهاخلقا صناعيا، ثم وحدتها فى حزب أسمته الحزب الديمقراطى يوجهه «إدموندو» فقد منيت بهزيمة منكرة ولم يكن هناك مفر بعد ذلك من تشكيل الوزارة من حزب الأغلبية فتولى رئاسة الوزارة السيد عبد الله عيسى، أحد أعضاء حزب وحدة الشباب، وتولى رئاسة الجمعية التشريعية السيد آدن عبد الله زعيم وحدة الشباب فى ذلك الوقت. وعين مستشار إيطالى فى كل وزارة. واحتفظت الإدارة الإيطالية بسلطتها الكاملة

فى شئون الدفاع وشئون السياسة الخارجية.

وقد اقترن انتخاب الجمعية التشريعية وتشكيل الوزارة الصومالية بتغير مفاجئ فى سياسة الإدارة الإيطالية فقد كانت هذه الإدارة تماطل فى إتمام عملية «الصوملة» أى وضع الصوماليين فى مختلف الوظائف الهامة حتى يتمرسوا على النهوض بها. ولكنها غيرت اتجاهها فجأة، وبدأت تسرع فى عملية «الصوملة».

ولم يكن معنى هذا أن الإدارة الإيطالية قد سلمت للشعب الصومالى بما يريد، ولم يكن معنى هذاأن القوى الأجنبية الأخرى قد كفت أيديها . كلا لقد أجمع الكل رغم خلافاتهم على ضرورة إخراج مصر أولا من هذه البلاد أى إخراج كمال الدين صلاح.

فكيف يتخلصون منه؟

هجوم شامل على مندوب مصر!

أول فكرة خطرت للإدارة الإيطالية للتخلص من كمال الدين صلاح، كانت: التخلص من مجلس الأمم المتحدة كله! فبذلك لا يبدو أنها تريد التخلص من شخص بالذات ، أو دولة بالذات.

وتكوين الجمعية التشريعية والوزارة الصومالية، هو المناسبة التى حددتها الإدارة الإيطالية للعمل على ذلك.. أما المنطق الذى يمكن أن تستند إليه فهو: أن إيطاليا قد أصبحت الآن عضوا فى الأمم المتحدة وتكوين وزارة صومالية ومجلس نيابى صومالى معناه أنه لا لزوم لوجودمجلس استشارى للأمم المتحدة هنا، فالوزارة الصومالية تستطيع أن تراقب الإدارة الإيطالية، وإيطاليا بعد أن أصبحت عضوا فى الأمم المتحدة أصبح من الممكن محاسبتها على ما تصنع فى الصومال..

ولم تضيع الإدارة وقتا..

فقدجاء إلى الصومال لكى يحضر افتتاح الجمعية التشريعية وفد إيطالى من وزارة الخارجية الإيطالية، كما جاء على نفس الطائرة مسيو بنيامين كوهين مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة لشئون الوصاية.. وفى اليوم التالى لوصولهم، تحدث مسيو كوهين مع كمال الدين عن تطورالأحوال في الصومال وسيره نحو الحكم الذاتى والاستقلالى، وأبرز

بصفة خاصة أنه قد طرأ تغيير جوهرى بقبول إيطاليا عضوا فى الأمم المتحدة، وأنه من الصعب بعد ذلك استمرار بقاء مجلس الأمم المتحدة هنا. وبعد ذلك بيومين، كان كمال الدين يتحدث مع المركيز فرا كاسى مدير إدارة الصومال فى وزارة الخارجية الإيطالية، فلاحظ أنه يحاول جس النبض لمعرفة وجهة نظره فى الموضوع .كان المركيز لبقا وحريصا فى كلامه وسأله عن رأيه فى وضع المجلس الآن، وعما إذا كان مسيو كوهين قد فاتحه فى الأمر فأجابه بأنه قد فعل. وأنه يريد أن يعرف رأيه صراحة فى هذا الموضوع.

وقال المركيز فرا كاسى: إننا لم نعد أى أفكار محددة. ولا نريد أن يكون فيما نطلبه من تغيير أى إساءة إلى الأمم المتحدة أو أى جرح لشعور أحد، فقال له كمال الدين: «إن وجود المجلس الاستشارى هنا جزء من نظام الوصاية على الصومال ، والأمر ليس متروكا للدول الأعضاء فيه فقط ، إنما الأمر كله من اختصاص الجمعية العامة للأمم المتحدة».

وفى مساء نفس اليوم ذهب المسيو كوهين إلى بيت كمال الدين صلاح يزوره. وفى هذه المرة تحدث إليه عن فكرة إلغاء مجلس الأمم المتحدة فى الصومال بحماسة وصراحة.. وكانت الاعتبارات التى استند إليها هى:

أولا: أن الفكرة من قيام المجلس الاستشارى هى كفالة نوع من الرقابة على الإدارة الإيطالية فى الصومال، خصوصا وأن إيطاليا لم تكن عند ما بدأت الوصاية عضوا فى الأمم المتحدة. ولكنها أصبحت الآن عضوا فيها، ومن حقها أن تطلب معاملتها على قدم المساواة مع الأعضاء الآخرين المنتدبين لإدارة أقاليم أخرى موضوعة تحت الوصاية ، بدون وجود مجالس استشارية للأمم المتحدة.

ثانيا- إن فى الصومال الآن جمعية تشريعية منتخبة، سوف تعرض عليها كل مشروعات القوانين. فلا معنى إذا لوجود المجلس الاستشارى لنظر هذه المسائل ما دام أهل البلاد أنفسهم سوف ينظرون فيها.

ثالثا- إن الصومال الآن محتاج إلى مساعدة الأمم المتحدة له بالخبراء الفنيين لا بالمجالس الاستشارية.

واتصلت المناقشة فى تلك الليلة طويلا بين المسيو كوهين وبين كمال الدين صلاح. فلما انصرف مسيو كوهين السكرتير العام المساعد للأمم المتحدة، كان شعور كمال الدين واضحا واقتناعه كاملا:

إن التخلص من وجود مصر فى هذه المنطقة من إفريقيا هو الرغبة التى يتلاقى عندها الجميع.. إنجليز وفرنسيين وأمريكيين وإيطاليين وأحباش! وها هو واحد من هيئة السكرتارية العامة للأمم المتحدة يشترك فى ذلك.

وشمر كمال الدين صلاح عن ساعده ليخوض هذه المعركة الجديدة.

فالدول الطامعة هذه المرة تريد التخلص من كل رقابة عليها لتغدو تلك البلاد الصغيرة الناشئة فريسة سهلة أمامها..

وكانت الحجج التى أدلى بها كمال الدين صلاح لدفع هذه المحاولة قوية قاطعة:

أولا- إن قيام المجلس التشريعي المنتخب ليس فيه تغيير جوهرى للأوضاع فسلطات هذا المجلس محدودة وقاصرة. فهو لا يملك طرح الثقة بالوزارة ولا إسقاطها. كما أن للحاكم حق الاعتراض (فيتو) على أى قانون يقره المجلس وبهذا يوقف تنفيذه. ثم إن أى عضو لا يملك التقدم بمشروع قانون للمجلس دون الحصول على موافقة الحاكم عليه مقدما.

ثانيا- إن الحكومة الصومالية تضم فى كل وزارة من وزاراتها مستشاراً إيطاليا له سلطة كبيرة. فلا يمكن أن يقال إن السلطة قد انتقلت بالفعل من أيدى الإدارة الأجنبية إلى أيدى أبناء البلاد.

ثالثا- إن قيام جمعية تشريعية منتخبة تقوم بصياغة الدستور وتكون لها سلطات تشريعية كاملة، ونقل السلطات إلى حكومة صومالية مستقلة مطلقة السلطات قبل انتهاء فترة الوصاية بسنة ونصف على الأقل، وهو أمر نصت عليه اتفاقية الوصاية، ولم يحدث بعد.. كان واضحا للجمعية العامة للأمم المتحدة عندما وافقت على الاتفاقية، ومع هذا لم تر الجمعية العامة أن ينتهى عمل المجلس الاستشارى عند هذا التاريخ.. بل رأت أن يستمر قائما فى الصومال إلى أن يصبح استقلاله حقيقة واقعة فى سنة ١٩٦٠ فكيف يقال اليوم بإنهاء مهمة المجلس؟!

رابعا- إن مهمة المجلس الاستشارى كما حددتها الجمعية العامة ليست مجرد الموافقة أو عدم الموافقة على ما تعرضه الإدارة الإيطالية.

إنما مهمته أيضا تقديم المشورة والعون طبقا لنص المادة الثانية من اتفاقية الوصاية، وإذا كان المجلس يقدم المشورة للإدارة الإيطالية القديمة العهد.. أليس من الأهم أن يقدم

مشورته للإدارة الصومالية الحديثة العهد والتجربة؟

خامسا- إذا صح القول بأن الصومال الآن قد أصبح لديه برلمانه وحكومته وأنه ليس في حاجة إلى مشورة أو توجيه من المجلس الاستشاري.. ألا ينطبق نفس المنطق على الإدارة الإيطالية نفسها؟.. ولماذا لا تنسحب الإدارة الإيطالية مع المجلس الاستشاري، وتترك البلاد لأهلها؟!

وفشلت الخطة التى طاقت بحلم ادول الكبرى. وبقى المجلس الاستشارى فى الصومال.

فماذا يصنعون؟..

لا مفر إذا من توجيه الحملة إلى مندوب مصر شخصياً..

ولكن هذه الدول لا تريد أن تهاجمه علنا ومباشرة فالأفضل أن توجه أحد الصوماليين أنفسهم إلى شن هذه الحملة. فمن يصلح لهذه المهمة؟..

لا أحد! سوى الرجل المفضوحة علاقته بالإدارة الإيطالية.. والذى غير دينه تبعا لمصالحه أكثر من مرة. لا أحد سوى محمد شيخ عثمان الشهير باسمه الذى حمله فى إحدى مرات تغيير دينه: إدموندو!..

لقد كتب إدموندو- بوصفه سكرتيرا عاما للحزب الديمقراطى- عريضة إلى لجنة العرائض فى مجلس الوصاية بالأمم المتحدة يشكو فيها مندوب مصر فى اللجنة الاستشارية، ويتهمه بأنه يتدخل فى شئون الصومال السياسية والاقتصادية على نحو يخالف الأساس الذى كلفته به الأمم المتحدة. ويتهمه بأنه يسعى إلى ضم الصومال إلى مصر أو على الأقل إلى إدخالها جامعة الدول العربية.. ثم قال إنه يحتج على ذلك لدى الأمم المتحدة، ويطالبها بالتدخل لمنع الدعايات الشريرة التى يقوم بها كمال الدين صلاح «حتى لا تقع الصومال فريسة لحكم مصر!!»

كان أول رد فعل لدى كمال الدين صلاح عندما قدمت هذه العريضة، هو : أنها من عمل الدكتور فرانكا..

فإدموندو هذا هو عمليه القديم. والحزب الديقمراطى الذى يمثله، والذى هزم هزيمة ساحقة فى الانتخابات ، هو الحزب الذى صنعه الدكتور فرانكا. والعريضة قد قدمت إلى الأمم المتحدة بعد عودة فرانكا من إجازته فى إيطاليا بأيام. ثم إن النغمة التى تنطوى عليها هى نفس النغمة التى يضرب عليها فرانكا:

مصر تريد أن تستولى على الصومال!

مصر تريد أن تضمها إلى الجامعة العربية!

كمال الدين صلاح يتدخل فى شئون الصومال الداخلية..

ولكن كمال الدين صلاح لم يكن يتصور أول الأمر كل القوى التى تؤازر هذه العريضة. وأنها أكبر كثيراً من الدكتور فرانكا!..

إن سكرتارية المجلس الاستشارى نفسها، لم تكد تتلقى العريضة حتى اهتمت بها اهتماما غير عادى.. لقد طبعتها ووزعتها فى نفس اليوم! وأرسلتها إلى المقر الرئيسى فى نيويورك فى أول بريد. ولم يكن هذا شأن السكرتارية دائما، خصوصاً بالنسبة إلى العرائض التى تقدم ضد الدكتور فرانكا! والسكرتير الرئيسى للمجلس الاستشارى- بهذه المناسبة- هو المسيو دى لاروش، الموظف السابق فى وزارة المستعمرات الفرنسية!

وليس هذا هو الدليل الوحيد على الأهمية الخارقة التى علقتها الدول الاستعمارية على هذه العريضة..

لقد نشرت العريضة بنصها ، ومعها خريطة إيضاحية، فى جريدة النيويورك تيمس.. أكبر الصحف الأمريكية نفوذاً!

ونشرت نفس العريضة- بخريطة أيضا! فى صدر جريدة الديلى اكسبريس أكثر الصحف الإنجليزية تتشاراو أكثرها استعمارية!.

وقرنت الديلى اكسربيس العريضة بالحملة على مصر وعلى جمال عبد الناصر وعلى كمال الدين صلاح.. فى مقال بعنوان: رجل عبد الناصر يكشف أوراقه!.. قالت فيه:

«إن دعاية عبد الناصر المعادية لبريطانيا فى الصومال قد ارتدت إلى أصحابها. لقد طلب الصوماليون (!!) إلى الأمم المتحدة نقل كمال الدين صلاح، العضو المصرى فى المجلس الاستشارى بالصومال، لأنه يتدخل فى حياة الصومال السياسية والاقتصادية. لقد جاء كمال الدين إلى الصومال البالغ الفقر- والذى يطل على المحيط الهندى إلى الجنوب من عدن، بعد أن أصبحت موضوعة تحت وصاية الأمم المتحدة.

«والوصاية تقوم بها إيطاليا، التى طردناها من الصومال خلال الحرب العالمية الثانية.

«وقد جاء مع كمال الدين عضو كولومبى وعضو فيليبينى. ولكن كمال الدين أحضر معه جهازا للدعاية من وزارة عبد الناصر للإرشاد القومى. ثم أرسل رجال الدعاية هؤلاء لكى

يخدعوا زعماء القبائل ويغرونهم بالانضمام إلى الجامعة العربية كما أنه منع الخمسة وثلاثين مدرسا مصريا من قبول أبناء الساسة المحليين كتلاميذ عندهم إلا إذا كان آباؤهم يميلون إلى مصر وقدم ٣٠٠ منحة دراسية فى الجامعات المصرية لأبناء الزعماء الذين ينضمون إلى فكرة الاتحاد مع مصر. وهو- أخيراً- يلقى فى المساجد خطباً ضد الإنجليز!

«فماذا كان رد الفعل فى تلك البلاد التى يسكنها مليون ونصف من الرجال المشوقى القوام والنساء ذوى العيون الجذابة؟ لقد أرسلوا إلى الأمم المتحدة يقولون: «انقذونا! إن هذه الرجل سوف يفسد عقول أبنائنا! انقذونا من دكتاتورية مصر المقنعة!»

«إن الدبلوماسى المحترف كمال الدين، أحد رجال عبد الناصر الذين ينفذون سياسته التوسعية ذات الثلاث شعب الموجهة ضد انجلترا: الأولى نحو أو غندا عن طريق السودان، والثانية نحو كينيا عن طريق الصومال، والثالثة على طول الساحل الشرقى للبحر الأحمر نحو عدن!»

«ولكن يجب أن نعترف أن هذه العريضة المقدمة إلى الأمم المتحدة لا يؤيدها الصوماليون جميعا. ولماذا يؤيدونها.. إذا كانت القوى الغربية مازالت غير منتبهة إلى الصومال؟»

انتهى مقال «الديلى اكسبريس»!

وأعجب ما فيه ليس الأكاذيب المتراكمة فى سطوره. وليس اعتبار البعثات التعليمية المصرية تدخلا واستعمارا، فى حين أن الضغط السياسى والعسكرى الإنجليزى لا يعد استعمارا. إن أعجب ما فيه حقا هو هذا الفزع المستولى على الجريدة، والذى صور لها أن هناك خطة مصرية ذات ثلاثة فروع على وشك ان تستولى على الامبراطورية البريطانية فى قلب إفريقيا!.. كل هذا من مجرد وجود مصرى فى الصومال، يؤدى واجبه كممثل للأمم المتحدة، ويعمل على دفع مؤامرات المستعمرين عن شعب الصومال!..

ولم تقف الديلى اكسبريس عند هذا الحد. لقد واصلت حملتها على كمال الدين صلاح، بمقال آخر، كان عنوانه هذه المرة «عبد الناصر هناك أيضا!!» وقالت فيه:

«إن لورد لويد، وكيل وزارة المستعمرات البريطانية، قد انتقل من وكر لعبد الناصر إلى وكر آخر له. لقد كان وكيل الوزارة فى عدن ثم ذهب إلى الصومال البريطانية، وهناك وجد المؤامرات المصرية ضد بريطانيا على قدم وساق فبجوار الصومال البريطانى مباشرة ،

توجد الصومال، الموضوعة حاليا تحت وصاية الأمم المتحدة. وبعد أربع سنوات، سوف تستفتى هذه البلاد بشأن مستقبلها، وهى قد تصوت من أجل الانضمام إلى جارتها البريطانية.

«ولكن هذا لا يلائم عبد الناصر. ومن هنا بدأ يعمل لكى يبقى الصومال بعيدا عن النفوذ البريطانى، وربما لا نتزاع الصومال البريطانى أيضاً.

«والمصيبة أن عبد الناصر يستخدم الأمم المتحدة لتحقيق أغراضه. فمصر لها ممثل فى مجلس الأمم المتحدة على إدارة هذه البلاد المتخلفة تحاول مصر أن تتسلل.

«إن على بريطانيا أن تدافع عن حقوقها. وأول خطوة هى أن تخرج انجلترا من هيئة الأمم المتحدة. إن هذه الهيئة تلحق أضرارا متوالية بمصالحنا الامبراطورية، ومن الحماقة أن تؤيد انجلترا مثل هذه الهيئة!».

هكذا سقط القناع!

إن الديلى اكسبريس لم تستطع أن تصبر كثيرا على نغمتها الأولى، نغمة اتهام مصر بأن لها ميولا استعمارية فى إفريقيا. لقد وجدت أن أحدا لن يصدقها، فانطلقت تعلن عن دوافعها الحقيقية: وزارة المستعمرات البريطانية. مصالح بريطانيا الامبراطورية. ضم الصومال إلى الصومال البريطانى، والأمل فى أن يختار الشعب الصومالى الدخول فى الامبراطورية البريطانية. ثم الثورة العارمة ضد التطور العالمى كله، وعلى رسالة الأمم المتحدة كجزء من هذا التطور!..إن الجريدة تطالب بالخروج من الأمم المتحدة، لأن الأمم المتحدة تلحق أضرارا امبراطوريات. فهى تريد إلغاء هذا البرلمان العالمى، وتريد إلغاء القوانين الدولية التى تنص على تحقيق استقلال كل الشعوب. إنها تريد الرجوع إلى عالم القرن التاسع عشر. حيث كان الضمير الدولى واهيا، والرقابة الدولية منعدمة، والدول الكبرى كانجلترا تصنع امبراطوريان واسعة من شقاء الملايين فى آسيا وإفريقيا!..

ومندوب مصر فى مجلس الأمم المتحدة بالصومال يقف عقبة فى طريق هذا كله، إنه يمثل لها شبحاً هائلا يؤرقه، هو شبح العالم الجديد.. عالم المساواة، عالم بلا إمبراطوريات!

على أن هذه الضجة العالمية فى صحف انجلترا وأمريكا ، والتى أثيرت مع تقديم عريضة إدموندو، كشفت عن المغزى الحقيقى لهذه العريضة، وكشفت عن المحركين

الحقيقيين لها..

وقد كان رد كمال الدين صلاح على هذه العريضة حاسما إذ وقف يقول: «... لقد كان فى استطاعتى أن أحتمى وراء عضوية المجلس الإستشارى وأمتنع عن الرد على هذه العريضة. ولكننى على العكس أرحب بمناقشتها، ذلك أننى أعلم أنى أقف على أرض ثابتة، وأن هذه العرائض المديرة، ليس المقصود بها مهاجمة مصر فقط، وإنما المقصود بها تضليل الشعب الصومالى، وإبعاده عن أهدافه الحقيقية وتشتيت جهوده، وإيجاد الفرقة بين أبنائه.

«هل مصر ومندوبها هى التى تخلق المشاكل وتسبب المتاعب فى الصومال، أم هؤلاء العملاء الذين يسعون لتحقيق مصالح بلادهم؟ إن مصر قد أرسلت علماء الأزهر والمدرسين بناء على طلب الشعب الصومالى، أحزابه وزعماؤه وهيئاته المتعددة. فهل علماء الأزهر الذين يعلمون الصوماليين شئون دينهم هم الذين يخلقون المشاكل؟! إذا فماذا عن هؤلاء القوم الذين جاءوا يستغلون اسم الدين المسيحى ويسيئون استغلال الدين لإخراج الصوماليين من دينهم وإدخالهم فى دين جديد؟! إن الصومال ليس بلدا لا دين له حتى يأتى هؤلاء ليدخلوا أهله فى دين جديد.

«ثم هذا الاتهام المضحك، الذى يقول إن مصر تحاول أن تضم الصومال إليها، إن هذا الأتهام لا يستحق الرد! ومع ذلك أقول إن مصر ليس لها حدود مشتركة على الصومال لتسعى لإدخاله فى اتحاد معها، وليست لها محميات ولا مستعمرات مجاورة لتحاول إدماجه أو ربطه بها. فليسأل هؤلاء الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف.

«ومع ذلك.. فهؤلاء الذين يزعجهم أن يرتبط الصوماليون بالشعوب العربية.. كيف يبررون محاولاتهم المكشوفة لربط الصومال بأوروبا وجعله لا تينيا فى لغته ودينه ومعيشته؟

«لننظر إلى مقومات الصومال فى الموقع الجغرافى والجنس والدين واللغة.. سنجده شعبا إفريقيا يدين بالإسلام، من الجنس السامى والحامى وتجاوره وتقع بالقرب منه شعوب شرقية وعربية.. فما هو الضرر وما هى المصيبة التى ستحدث للعالم لو ارتبط هذا الشعب بالشعوب التى تجمعه معها روابط الجنس واللغة والدين والموقع الجغرافى والتاريخ المشترك؟!»

على أن أبلغ رد على هذه العريضة ، كان: عريضة أخرى قدمها السيد آدن عبد الله

باسم الجبهة الوطنية للأحزاب الصومالية صاحبة الأغلبية فى البلاد، تستنكرعريضة إدموندو!

فماذا بقى من وسائل للتخلص من كمال الدين صلاح، بعد أن فشل هذا الأسلوب أيضا؟...

لم يبق سوى حل واحد جرئ، فهل يقدمون عليه؟

يجب محوه من الوجود

مرت سنة، واثنتان، وثلاث سنوات...

لقد أدركنا سنة ١٩٥٧، وكمال ا لدين صلاح يحارب في كل هذه الجبهات. والمتآمرون لم تفتر همتهم، وهو بالمثل لم تفتر همته، ولم تتعب عضلاته..

إنه يكتب في خطاب له إلى زوجته « إن بعض المسئولين هنا يتعمدون مضايقتي والإساءة إلي حتى تصبح إقامتي في الصومال غير محتملة، وحتى يضطروني إلى الرحيل بأي شكل.. »ولكنه على العكس لا ينسحب، بل تتضاعف قوته، ويكفيه إذا كان بعض الرسميين يضايقونه، أن أبناء الشعب الصومالي المخلصين يقدرون جهاده، ويعتبرونه واحدا منهم، وأحد الأعمدة التي يقيمون عليها مستقبلهم.

إن كل المعارك التي ذكرناها مازالت ، بعد ثلاث سنوات حافلة محتدمة لا تخفت لها نار.. وفي مذكرات كمال الدين التي تبدأ مع سنة ١٩٥٧، نجد انعكاس هذه المعارك..

إنه ما زال يطول أنحاء الصومال ويتصل بالأهالي « .. قمت في الفترة بين ٢و١٨ مارس سنة ١٩٥٧ بجولتين كبيرتين في قلب الصومال، بالسيارة الجيب وبالطائرة. لقد زرت كثيرا من المدن والقرى، وجددت إتصالي بالأهالي وشيوخ البلاد، وتعرفت على مدى حاجتهم إلى المعونة الثقافية. إنهم يريدون مساعدتهم على إتمام بناء المدارس البسيطة

المتواضعة التى بدأوا فعلاً فى تشييدها من أموالهم الخاصة رغم فقرهم، وبتقديم الكتب الدراسية والمدرسين الذين يربون أبناءهم التربية العربية التى يرتضونها لهم»..

وفى صفحة أخرى نجده يسجل متفائلا «.. تكونت فى العاصمة والأقاليم لجان من أهالى البلاد الوطنيين، الذين يؤمنون بتقوية العلاقات بين الصومال والبلاد العربية، وتقوم هذه اللجان بإنشاء مدارس أهلية أطلق عليها اسم «المدرسة الوطنية النموذجية» إن هناك الآن مدرسة فى مقديشيو سيكون بها فى أول العام القادم أربعة عشر فصلا للبنين والبنات، ومدرسة فى جلكاعيو ستضم أحد عشر فصلا، وثالثة فى كيسيمايو ستضم تسعة فصول ، ورابعة فى بندر قاسم ستضم سبعة فصول، وخامسة فى بلدوين وستضم أربعة فصول. وهذه المدارس يتولى أعضاء البعثة المصرية التعليم فيها. فضلا عن قيامهم بالتعليم فى المدارس التابعة للأحزاب. إن هذه المدارس تسجل نجاحا باهراً ، وتجذب إليها أغلب التلاميذ، بسبب تعلق الشعب بالتعليم العربى واللغة العربية،وانصرافهم عن اللغة الإيطالية التى يجرى التدريس بها فى سائر المدارس».

وفى مارس ١٩٥٧ فوجئ الناس ذات يوم بجريدة «الكوريرى ديلاصوماليا» ، الجريدة الوحيدة اليومية فى الصومال، والتى تصدرها الحكومة، فوجئ الناس بها وقد نشرت صفحة كاملة من صفحاتها باللغة الصومالية مكتوبة بحروف لاتينية . كان واضحا أن هذه محاولة جريئة لتدعيم الإتجاه إلى عدم استعمال اللغة العربية، التى طالب بها الشعب. وكان كمال الدين غائبا فى ذلك الوقب عن العاصمة فى رحلته فى الأقاليم. فلما عاد وجد الرأى العام ثائرا لهذا التحدى لإرادته، وقد دعت الجبهة الوطنية للأحزاب إلى اجتماع لبحث الأمر واتخاذ قرار فيه. واتخذت الأحزاب التى حضرت الاجتماع قرارا باستنكار هذا العمل من جانب الحكومة والاحتجاج عليه. وأرسلت الاحتجاجات إلى الحكومة، وإلى الإدارة الوصية، وإلى الحكومة الإيطالية فى روما، وإلى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك، وإلى المجلس الإستشارى فى مقديشيو.

وقد رأى حزب وحدة الشباب– لأنه حزب الحكومة– أنه ليس فى اللائق أن يحضر هذا الاجتماع المشترك للأحزاب الذى شنت فيه الحملة على الحكومة على أن مجلس إدارة الحزب اجتمع وبحث الموضوع واتخذ قرارا بأغلبية ساحقة باستنكار تصرف الحكومة ومطالبتها بالعدول عن هذا الاتجاه وتوجيه خطاب إليها بذلك وقد وقعت أزمة عنيفة بين

الوزارة والحزب انتهت بنزول الحكومة عند رأى الحزب ورغبات الشعب، وبتعهد الحكومة بأن تكف عن موالاة النشر فى صحيفتها باللغة الصومالية والحروف اللاتينية (*).

والعدوى تنتشر ! ففى فبراير ١٩٥٧، يصل إلى مقديشيو وفد يمثل الجبهة المتحدة لأحزاب الصومال الإنجليزى. وقد جاءوا إلى الصومال بإيعاز من الإنجليز، وتحت إشراف القنصل الإنجليزى ليثيروا فى الأذهان فكرة العمل على اتحاد الصوماليات ضمن الكومنولث البريطانى. ولكنهم عند ما يختلون بكمال الدين صلاح فى بعض الحفلات.. يقولون له: إن أهالى الصومالى الإنجليزى مازالوا يذكرون بالخير أيام المصريين، ويرددون تاريخها لأولادهم.. وإن الآثار التى خلفها المصريون فى بربرة كالمساجد وفنار الميناء الذى تعطل أخيرا مصباحه المتحرك واستبدله الإنجليز بمصباح ثابت، وغيرها من أعمال المهندسين المصريين، مازالت قائمة تنطق بكفاية المصريين. وبمقدار ما نفذوه هناك من مشاريع عمرانية. وقال له السيد أحمد حسن رئيس الوفد: إنه عندما وقع العدوان الإنجليزى الفرنسى الإسرائيلى على مصر أصاب أهل المحمية حزن شديد، وعندما تعطلت إذاعات القاهرة أصابتهم حيرة. وكانوا يرفضون الاستماع إلى إذاعة عاصمتهم «هرجيسة» أو إذاعة لندن، وجعلوا يستمعون إلى إذاعات الخرطوم ودلهى.. وقد أوفد الإنجليز عملاءهم فى شتى أنحاء البلاد لمعرفة شعور الأهالى ورد الفعل الذى نشأ عن العدوان على مصر، فعادوا يقولون إنهم وجدوا الشعب كله رجالا ونساء مع مصر بقلبه وعواطفه. وأخيرا أبدى له أعضاء الوفد رغبتهم فى الحصول على مدرسين مصريين لتعليم أولادهم ، وقالوا إنهم سوف يجسون نبض الإنجليز لمعرفة مدى تقبلهم لمثل هذه الفكرة.

ولمثل هذا السبب، تستمر حملة الصحف الإنجليزية ! فتكتب «الإيكونويست» هذه المرة- فى عدد ١٦ فبراير ١٩٥٧- قائلة:

«إن الصومال الإنجليزى والصومال الفرنسى لن يرضيا بالبقاء تحت الحكم الأجنبى عندماتستقل جارتهما الكبيرة، الصومال» وهذا ما يكشف عن حقيقة عواطف الإنجليز نحو استقلال الصومال! ثم تهاجم المجلة حزب وحدة الشباب، وهو حزب الأغلبية الحاكم، وتصفه بأنه حزب عدوانى.. بل وتهاجم مستر «بيفن» وزير الخارجية البريطانية السابق، لأنه خلال وزارته كان راضيا عن هذا الحزب الذى تكون أيام الاحتلال الإنجليزى! ثم تذكر

(*) قرر حزب وحدة الشباب بعد ذلك بشهور العمل على كتابة اللغة الصومالية بحروف ليست عربية وليست لاتينية.. ومازالت المسألة قيد البحث.

المجلة فى أسى أن الصوماليين عندما يحتاجون إلى مساعدة يفضلون البلاد العربية، وأن الاتجاه الطبيعى للصومال بعد الاستقلال سيكون نحو الجامعة العربية.. ثم تطالب فى نهاية مقالها بأن يعمل الغرب على الاحتفاظ بهذه المنطقة موالية له!.

ويكتب كمال الدين خطابا إلى زوجته يقول لها فيه.. «.. يظهر أن الإنجليز وحلفاءهم لا يهدأ لهم بال، ويداومون على تدبير المكائد لنا.

وقد أصبح واضحا أنهم يريدون التخلص منى شخصيا!..»

ويتفاقم الخلاف بين الأقوياء هناك حول قضية هامة، هى قضية الوحدة: فانجلترا تريد أن يتحد الصومال مع صومالها ليكون المستقبل فى تلك البلاد للكومنولث. والحبشة تعمل على أن يتحد الصومال معها كما أتحدت إريتريا من قبل. ومن وراء الحبشة تقف امريكا، التى تنقب عن البترول فى منطقة الحدود بين الحبشة والصومال، فاتحاد الصومال مع الحبشة سيكون فى صالحها..

ويتقرر عرض قضية الحدود على الدورة التى سيعقدها مجلس الوصاية فى نيويورك فى أبريل ١٩٥٧ ويقرر كمال الدين صلاح السفر فى أوائل أبريل إلى نيويورك مندوبا عن المجلس الاستشارى ليشرح وجهة نظر المجلس ، أى وجهة نظر الشعب الصومالى.

ولم يكن قد بقى على موعد السفر سوى أيام، عندما كان كمال الدين صلاح عائدا إلى بيته يوم ١٧ مارس ١٩٥٧، فهجم عليه شاب صومالى فى يده سكين طويل، ظل يطعنه، حتى سقط على الأرض مضرجا بدمائه!

....

من أين جاء هذا الشاب القاتل؟.....

هل أقدم على هذاالعمل من تلقاء نفسه، أم دفعه إليه أحد؟

هنا تتوقف مذكرات كمال الدين صلاح. لقد أسلم روحه بمجرد وصوله إلى المستشفى ، فلم يعد قادرا بعد على أن يروى القصة، ويحلل لنا الأسباب، بالدقة والوضوح والبساطة التى تعودناها من مذكراته وخطاباته..

ولكن القاتل نفسه يتكلم. وبين يدينا نص التحقيق الرسمى الذى أجرته النيابة العامة الإيطالية والبوليس.

إن القاتل محمد شيخ عثمان، شاب فى حوالى الثلاثين من العمر. وصفه محضر

التحقيق بأنه اسمر برونزى اللون، نحيف طويل، حاد الطبع. كان طالبا فى إحدى البعثات الصومالية بمصر خلال سنتى ١٩٥٣ و١٩٥٤ ولكن طباعة الشاذة جعلت زملاءه أعضاء البعثة يضيقون به، ويسعون لإعادته إلى بلاده. بل إنهم أرسلوه، بصحبة قنصل إيطاليا فى مصر، إلى أحد الأطباء النفسيين الإيطاليين فى مصر، فوصفه هذا الطبيب بأنه ذو نفسية سريعة التحول. ثم انتهى الأمر إلى إلغاء بعثته وإعادته إلى الصومال.

وفى الصومال عاش فى بلدته «بيضوا» حياة غير موفقة، محوطة بالضنك والقلق.. وفى إحدى المرات ثار فجأة أثناء مناقشة له مع أحد موظفى مكتب التلغراف بالبلدة، فطعنه بخنجر كان فى يده. وجرح موظف التلغراف ، وحكم على محمد شيخ عثمان بالحبس شهرين.

وكان القاتل إلى جانب ذلك عضوا فى حزب دجل ومرفله.. وفى أول تحقيق أجرته النيابة مع القاتل اعترف بجريمته. وروى القصة كاملة ، فقال: إنه كان فى بلدته بيضوا عندما أرسل إليه أحد تجار ا لبلدة- واسمه الحاج محمد عمر المخرومى- يقول له إنه كان فى العاصمة مقديشيو، وإن عبد القادر آدن سكرتيرعام حزب دجل ومرفلة طلب منه أن يخبره بأن يذهب إلى العاصمة فورا ويقابل عبد القادر آدن لأنه يريده فى أمر شديد الأهمية..

وترك محمد شيخ عثمان بلدته وسافر إلى العاصمة يوم ١٠ أبريل.

وفى يوم ١٤ ابريل، التقى بعبد القادر آدن سكرتير عام حزب دجل ومرفلة وعبد الله مرسل نائب رئيس الحزب وصحبه الأثنان فى سيارة عبد القادر آدن وانطلقا يتحدثان معه. قالا له: لقد دعوناك من أجل مصلحة عليا للحزب. فنحن نريد أن تتحول الصومال إلى اتحاد فيدرالى بين ولايات، مما يعزز شأن النظام القبلى. ولكن كمال الدين صلاح يؤيد حزب وحدة الشباب الذى يريد دولة واحدة مستقلة. فلابد من محو كمال الدين هذا من الوجود، إذ طالما هو موجود فى الصومال لا يمكن أن يتم مشروع الاتحاد الفدرالى. ولابد أن يتم التخلص منه بسرعة، قبل أن يسافر فى نهاية الشهر إلى نيويورك حيث سيمثل المجلس الاستشارى أمام مجلس الوصاية بالأمم المتحدة أثناء مناقشة مشكلة الحدود بين الصومال والحبشة..

ثم طلبا منه- كما قال- صراحة أن يقوم هو باغتيال كمال الدين.

وقالا له: إن القانون الحالى فى الصومال ليس فيه عقوبة إعدام، ثم دفعا له ٢٠٠ شلن صومالى مقدما، ووعداه بأن يدفعا له بعد إتمام الجريمة مبلغ ٣٠ ألف شلن صومالى.. وكان محمد شيخ عتمان قد ارتاب فى إمكانهما دفع هذا المبلغ الكبير، فسألهما من أين لهما بهذا المبلغ.. فقالا له: إن ضابط الاتصال الحبشى اتفق معهما على تمويل نشاط الحزب نظير تعاون الحزب معه فى العمل.

وكانت الخطة التى اقترحها النائبان عبد القادر آدن وعبد الله مرسل كما قال القاتل- هى أن يذهب إلى الاحتفال الذى كان حزب شباب بنادر سيقيمه فى مساء الغد، إذ كان مقرزاً أن يلقى كمال الدين صلاح خطبة فيها فإذا تمكن من اغتياله فى أثناء الحفلة والفرار وسط الزحام فعليه أن يرتكب جريمته ، وإذا لم يتمكن فإنه سيتمكن على الأقل من معرفة كمال الدين صلاح- ولم يكن القاتل قد رآه قط- ليذهب إليه فى بيته ويغتاله فى اليوم التالى..

وفى اليوم التالى أرسل محمد شيخ عثمان قريبا له اشترى له خنجرا طويلا. وذهب فى المساء إلى حفلة حزب شباب بنادر، وألقى كمال الدين صلاح كلمته ولكن القاتل لم يتمكن منه فى تلك الليلة، فخرج إلى مقر حزبه- دجل ومرفله- حيث التقى مع عبد القادر آدن وعبد الله مرسل، وركب معهما السيارة مرة أخرى إلى بار فيات حيث جلسوا قليلا، ثم إلى شارع الليدو، حيث أشار عبد القادر آدن إلى بيت كمال الدين صلاح لكى يعرفه القاتل..

وفى صباح اليوم التالى، ذهب محمد شيخ عثمان إلى بيت كمال الدين صلاح فلم يجده، وانتظره وعرف أنه خرج قاصداً القنصلية المصرية، فذهب إليها، ولما لم يكن كمال قد وصل فقد لبث ينتظره حتى قدم.. تلك هى الرواية الكاملة التى أدلى بها القاتل أمام النائب العام، وبناء على هذه الأقوال، ألقى النائب العام الإيطالى القبض على النائبين عبد القادر آدن وعبد الله مرسل..

ولكن القاتل عاد فعدل عن أقواله جميعا.. وقال إن أحدا لم يحرضه، وإنه ارتكب الجريمة بمفرده..!

ثم عاد القاتل فعدل عن عدوله هذا، ورجع إلى أقواله الأولى واتهام النائبين..

فهل هذان النائبان حقا..مذنبان؟

إن هناك شكوكا كثيرة تحيط بالموضوع..

إن السيدة أمينة صلاح زوجة الشهيد كمال الدين صلاح لا تصدق اتهامها ،فقد كانا من أعز أصدقاء زوجها.. وهذان النائبا بالذات كانا من أشد معارضى الإدارة الإيطالية فى الفترة الأخيرة..

فهل هناك تلفيق من الإدارة الإيطالية ضد النائبين..؟

لقد اقترنت بوقوع الجريمة عدة ظواهر غريبة..

الجندى الواقف أمام الباب، حيث ارتكبت الجريمة لم يتحرك لإنقاذ الشهيد ولم يتحرك للقبض على القاتل. إنما قبض على القاتل خدم وموظفو القنصلية المصرية..

وكانت العادة أن يتغير جندى الحراسة هذا كل يوم، ولكن هذا الجندى بالذات لم يتغير طوال الأيام الثلاثة التى سبقت وقوع الجريمة ،والتى كان القاتل قد وصل إلى العاصمة فيها وبدأ يستعد لانتهاز فرصة يرتكب فيها جريمته..

وحالة الطوارئ أعلنت لسبب غير مفهوم صباح يوم ارتكاب الجريمة أى قبل وقوعها بساعات..

وقد حكمت المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة على القاتل، وببراءة النائبين؟..

فمن هو المسئول الحقيقى عن قتل كمال الدين صلاح؟....

إنه مازال مطلق السراح.. فى الصومال وفى كثير من أركان إفريقيا إنه الاستعمار!..

مــن القاتـــل؟

لا يهمنا كثيراً أن نقف عند تحقيق النيابة، أو أن نتابع جلسات المحكمة، لنعرف من الذى قتل كمال الدين صلاح..

إن الذى قتله أكبر من الشاب الأسمر الطويل. وأكبر من النائبين اللذين قال القاتل إنهما حرضاه. وأكبر من الذين أعطوه النقود..

لقد راح كمال الدين ضحية استراتيجية عالمية واسعة. والذى قتله هو: الإستعمار فى إفريقيا...

لقد تحدث أحد الكتاب الأوروبيين عن إفريقيا فقال إنها «قديمة كأبى الهول، جديدة كاليورانيوم!». نعم ، ففى إفريقيا أقدم ما احتاج إليه الإنسان فى بناء حضارته، عند ما زرع وادى النيل فى مصر، وفيها أحدث ما يحتاج إليه الإنسان فى القرن العشرين، وهو: اليورانيوم الثمين..

والاستعمارالعالمى يعلق أمل استمرار حياته على إفريقيا.

فلأنها ما تزال أكثر مناطق العالم تأخرا، ولأن ثرواتها ما تزال عذراء، ولأن الاستعمار قد تقلص فى آسيا، والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، فهو يريد أن تكون قلعته الأخيرة فى قلب إفريقيا..

الدول الاستعمارية تلتقى عند رغبة واحدة ، هى أن تستثمر هذه القارة بأرخص ثمن . منها من يعتقد أن أرخص ثمن هو أن يبقى سكانها متأخرين، حفاة عراة. ومنها من يعتقد أن هذا مستحيل، وأن أرخص ثمن لاستثمارها هو إعطاء سكانها بعض المكاسب والتحسينات المادية، مع تجريدهم فى نفس الوقت من مقوماتهم الأساسية.. ولكن الجميع يلتقون عند نتيجة واحدة، هى: أن أهل إفريقيا لا يمكن أن يكونوا مستقلين حقا. استقلالا كاملا. كأى شعب آخر فى أى قارة أخرى..

أصدرت مجلة «لايف» الأمريكية فى إحدى المرات عدداً خاصا عن إفريقيا. كتب فيه ثلاثة من أبرز الأمريكيين الذين زاروا إفريقيا، هم: الأديب أرنست همنجواى، والسياسى إدلاى ستيفنسون ، والصحفى جون جنتر.. فماذا قالوا؟

قال همنجواى:

«كانت هذه القارة هادئة عندما قدمنا نحن الغربيين إليها فالمواطنون يعيشون فى انسجام مع طبيعة القارة، أما الأجنبى فإنه يفسد كل شىء: يقطع الأشجار، ويغير مجرى المياه، ويحول الغابات العذراء إلى أراض زراعية سرعان ما تصبح كأى أرض زراعية فى أى مكان آخر من العالم!

«إن كل بلد قد خلقت لتبقى كما هى، وعلى طبيعتها، وما نحن سوى فضوليون!

«إننى أحب الحياة فى هذه القارة. فهناك يمكننى أن أصيد الطيور والأسماك. وعندما تسير بى السيارة ليلا يشع الضوء فى عيون الغزلان التى تجلس متجمعة على الرمال، حتى تقترب منها السيارة فتنهض فى ذعر متكاسل.. إنك تحس هناك بأن العالم قد كف عن الدوران وأن الدنيا كلها تنتظر ببابك!»

وقال ستيفنسون:

«إن هذه القارة الواسعة الممتدة حوالى خمسة آلاف ميل غير مستقرة الأحوال. فى الشمال حيث مراكش وتونس والجزائر، ثارت الأغلبية العربية على حكم الأقلية الفرنسية . وفى الجنوب تحكم أقلية أوروبية وهى فى خوف دائم من أن تكتسحها الأغلبية الإفريقية.

ومن الواضح أن المشكلة ستبقى ما دام الإفريقيون يصممون على اكتساب حريتهم كاملة وإتاحة فرص اقتصادية لهم.

«وفى المناطق المزدحمة بالسكان البيض مثل كينيا وروديسيا الجنوبية وجنوب إفريقيا،

ينظر الإفريقيون بشراهة إلى الأراضى الجيدة التى يحتفظ بها الأوروبيون.. ولقد حكى أحد المبشرين عن ذلك الإفريقى الذى قال له بكل صراحة: عندما جاء الأوروبيون كانوا يملكون الإنجيل وكنا نحن نملك الأرض.. أما الآن، فقد أعطونا الإجيل وأخذوا منا الأرض!

«وأثناء إقامتى فى إفريقيا لم أحس بأى عداء نحو البيض ما عدا تلك الشرذمة الإرهابية من الماوماو فى كينيا، عندما قتلوا طفلين بريئين من الإنجليز..

«والإفريقيون لا يثوورون فقط من أجل المشاكل السياسية والإقتصادية ، إنما من أجل التفرقة العنصرية أيضا. فالإفريقى سرعان ما يكتشف أنه لا يستطيع تسلق السلم إلا إلى درجة معينة. وأنه حتى ولو أوتى كل مواهب العالم لا يتسطيع أن يحقق لنفسه نفس المستوى الاقتصادى والاجتماعى للرجل الأبيض»

وكتب جون جنتر يقول:

«إن أفريقيا يسكنها ١٩٨ مليون نسمة بينهم خمسة ملايين فقط من الأوروبين. ومن الواضح أن ١١ ألف من البيض فى نيجيريا مثلا لا يمكن أن يمنعوا إلى الأبد ٣٠ مليونا من السود من الحصول على حريتهم. فإذا صمم هؤلاء على أن يصبحوا أحرارا ، فإن الرجل الأبيض الذى يحكم إفريقيا لن يعدوا أن يكون كذرات الملح الأبيض المبعثر على سطح هذه القارة الهائلة.. وهذا هو لب المشكلة الإفريقية.

«أن أكثر دول إفريقيا مازالت تعيش تحت الحكم الاستعمارى لدولة أو لأخرى. ولكن إلى متى تبقى هذه الدول هناك؟ ومن سيخلفها بعد ذلك؟.. لأن إفريقيا تمتاز بموقع استراتيجى عظيم الأهمية.. فضلا عن أنها تضم فى أرضها نسبة هائلة من كنوب العالم كله. إن هذه القارة فيها ٥٥٪ من ذهب العالم و٢٢٪ من نحاسة.. وأكثر ما فيه من يورانيوم. هذه القارة سوف تصبح قريبا فى وضع يتيح لها أن تختار أى فريق تنضم إليه. وبهذا يمكنها أن تغير ميزان القوى فى العالم كله».

هذا ما قاله الأديب والسياسى والصحفى!.. نذكر عندما نقرأ كلامهم قول حاكم الكونغو البلجيكى مرة معبرا عن حيرته: «إن تعليم الإفريقيين خطر، وعدم تعليمهم أشد خطورة!».

فهذا الكلمات تشرح موقف الغرب من إفريقيا فى بساطة وإيجاز ! الغرب يخاف أن يجارى التقدم فى إفريقيا لأنه سيضطر فى هذه الحالة إلى التنازل عن كثير من امتيازاته..

ويخاف أن يقاوم التقدم فى تفاقهم اندلاع النار، وقد يفقد إفريقيا كلها فى ضربة واحدة.. ولنتأمل ما قالوه بالتفصيل..

إن همنجواى يأتى إلى إفريقيا كما يأتى السائح،أو الرجل الذى يبحث عن مغامرة إنه «يحب إفريقيا».. يحب أن يرى فيها الغابات والعراة والغزلان التى تفزعها مصابيح السيارات.. أما إذا تحولت إفريقيا إلى شوارع ومصانع وكبارى وحقول مزروعه، فسوف تفقد جمالها فى عينيه!..

إنه يذهب إلى إفريقيا كما يذهب المرء إلى حديقة الحيوان مثلا، ليستمتع برؤية كائنات غير مألوفة لديه. وكما أنه لابد أن يبقى سكان حديقة الحيوان فى أقفاص حتى نستمتع بمنظرها ولا نخشى بأسها، كذلك فإن أهل إفريقيا يجب أن يظلوا فى أقفاص من الجهل والفقر والتأخر حتى يستمتع السيد همنجواى بمنظرهم ! أما إذا اصبحوا زراعا وصناعا ومثقفين كالذين يراهم فى الغرب.. فأى متعة إذا يجدها فى إفريقيا؟..

أما ستيفنسون، فقد وقف عند نقطة اعتبرها المشكلة الرئيسية فى إفريقيا وهى: أن البيض والسود لا يمكن أن يعيشوا جنبا إلى جنب..

ولكن من الذى خلق هذه المشكلة؟ البيض أم السود؟ الوافدون على إفريقيا أم الإفريقيون؟

إن إفريقيا لم ترفض الهجرة إليها يوما. ولم نسمع عن شعب إفريقى كره أجنبيا قادما لمجرد أنه أجنبى. بل إنهم على العكس يطلبون مساعدته وخبرته. إنما تبدأ الكراهية عندما يبدأ الأجنبى فى التحكم والاستغلال والسيطرة..

إن الإفريقيين فى اتحاد جنوب إفريقيا لا يطلبون طرد البيض، إنما يطلبون المساواة فقط.

والخمسة ملايين إفريقى فى كينيا إنما يثورون لأنهم يرفضون أن يكونوا عبيدا لأربعين ألف من الأوروبيين..

ولكن الغربيين هم الذين يرفضون المساواة، هم الذين يضعون قوانين التميز العنصرى فى جنوب إفريقا، وفى كينيا وفى شمال إفريقيا..

وستيفسون لا يستطيع أن يلقى اللوم صراحة فى هذه المشكلة على الإفريقيين، لأن الوقائع الصارخة لا تتيح له ذلك. ولكن هذا لا يمنعه من تسقط أصغر الأخطاء لهم فهو

مثلا يسجل جريمة ارتكبتها تلك ا لشرذمة الإرهابية من الماوماو الذين قتلوا طفلين بريئين من الإنجليز.

ولكنه لا يذكر أصل المشكلة التى أدت إلى ذلك.لا يذكر الحرمان والفقر والبؤس والاستغلال، ولا يذكر عدد الذى قتلهم الإنجليز من الرجال والنساء والأطفال..

كان برنادرشو يقول على سبيل الفكاهة «إذا قتل الأسد رجلا قلنا هذه وحشية، أما إذا قتل الرجل أسدا فإننا نقول هذه رياضة!» وكأن ستيفنسون يريد أن يقول: إن قتل الإفريقى للإنجليزى وحشية، وقتل الإنجليزى للإفريقى حضارة!

وأخيراً.. نجد أن جون جنتر جنتر قد ركز اهتمامه على لب الموضوع وهو: علاقة إفريقا بالمعسكر الغربى..

إنه يحذر من «ضياع» إفريقيا... كما ضاعت آسيا..

فماذا يعنى بالضبط «ضياع» إفريقيا؟ أغلب الظن أنه يقصد استقلالها! فاستقلال إفريقيا فى رأيه ضياع لها... أى ضياع لها من قبضة الغرب!

إن جون جنتر يتكلم عن إفريقيا كما يتكلم الإنسان عن منجم يجب أن يمتلكه ، أو عن خط دفاع يجب أن يحتمى به!.. ولكنه لا يتكلم عنها أبدا كشعوب تريد أن تستقل ، وأن تختار مصيرها، وأن تعامل بلاده وتتبادل المصالح معها معاملة الند للند..

ليس لدى الغرب الشجاعة الكافية لمواجهة الحقيقة الجديدة، وهى: أن هذه الشعوب لا يمكن أن تبقى إلى الأبد مجرد آبار لبتروله ومناجم لخاماته يملى هو شروط استثمارها. إنما هى بلاد يجب أن تكن مستقلة تماماً،تكيف مصالحها وتعمل لحساب نفسها، وهى بعد ذلك تحب أن تتعامل مع الغرب ومع العالم كله، تعاملا حراً شريفاً أساسه الاختيار والمساواة.

هذه هى المشكلة التى قتلت كمال الدين صلاح.

فماذا نفعل نحن المصريين والعرب، وغيرنا من أبناء إفريقيا وآسيا؟..

لا شىء غير ماكان يفعله كمال الدين صلاح: مزيد من النور يضىء أرجاء الغابة ، ويطرد الوحوش الكاسرة!

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

من سلسلة ذاكرة الكتابة

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراڤيتلي سابقاً)



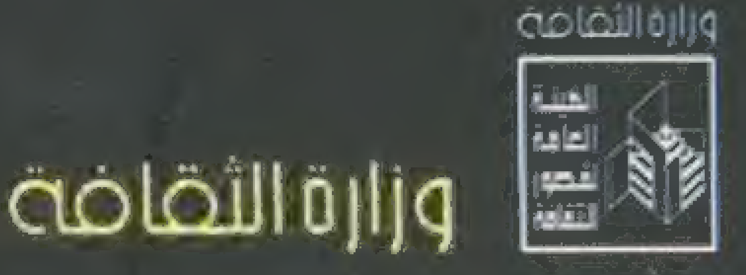
هذا المصرى الذى ذهب إلى تلك البلاد الإفريقية لم يشعر بانه غريب. فهذه هى قارته. وهذه البلاد كانت ترزح تحت الاستعمار كما كانت ترزح بلاده. وفى تاريخ مصر القديم أن التجار المصريين كانوا يذهبون إلى الصومال ويتاجرون معها منذ أربعة آلاف سنة، وكانوا يسمونها "بلاد البنط". ثم إن الشعب هنا كله مسلم، واللغة المفضلة لديه هى اللغة العربية ولهجاته المحلية فيها كثير من الكلمات المصرية القديمة.. أما الصوماليون، فقد وجدوا فيه كذلك إفريقيا مثلهم..

لقد عاش الاستعمار فى هذه البلاد عشرات السنين دون أن يصنع لها شيئا! ولكن الإدارة الإيطالية هذه المرة مؤقتة، ستنتهى سنة 1960. ثم إنها خاضعة للأم المتحدة. والأمم المتحدة لها رسالة أخرى غير الاستعمار. رسالتها أن تنقل هذا الشعب إلى مستوى حضارة القرن العشرين، وأن تعلمه كيف يحكم نفسه وكيف يشارك سائر الشعوب جهادها التقدمى!..

أما إذا كانت هناك مناورات من الدول الاستعمارية فى هذه الأرض الفقيرة الصغيرة، فإن رسالته أيضا، كممثل للأمم المتحدة، أن يقف فى وجه هذه المؤامرات.. فترى ماذا هناك؟..



تصميم الغلاف : فكرى يونس



وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

الثمن : خمسة جنيهات